الفكر التربوي عند الإمام

أحمد بن حنبل

إعداد

ختام محمود عوض القرعان

ذو القعدة ١٤١٢هـ

أيار ١٩٩٢م

جامعة اليرموك

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل

إعداد

ختام محمود عوض القرعان

بكالوريوس لغة عربية ودبلوم تربية/جامعة اليرموك/الاردن، عام/١٩٨٣م

الدبلوم العالي في الدراسات الإسلامية/جامعة اليرموك، الاردن، عام/١٩٨٨م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير

في جامعة اليرموك تخصص «التربية في الإسلام»

لجنة المناقشة

الدكتور فاروق عبد المجيد السامرائي .... رئيسا

الدكتور مروان القيسي .... عضوا

الدكتور محمد العمري .... عضوا

الدكتور محمد عليمات .... عضوا

آيار ١٩٩٢م

الإهداء

إلى الإنسانية التي محت حب الذات

الى والدي الكريمين

الى الأعزاء إخواني وأخواتي

الى كل من علمني ووجهني توجيهاً إسلامياً

الى شيوخي الكرام

الى الرعيل الأول في هذا البرنامج الذين تحملوا مشاق المباذأة، ولهم شرفها، فعليهم نعلق الآمال للنهوض بهذا البرنامج، ليدرأوا عن فكرنا التربوي غوائل التدمير.

إلى كلّ روح قدمت ضحية لخدمة الإسلام والمسلمين.

شكر وتقدير

أحمد الله حمداً كثيراً وأشكره دائماً

أتقدم بالشكر والتقدير الى الدكتور فاروق عبد المجيد السامرائي الذي كان وراء فكرة هذا البحث، ولم يضن عليّ بعقليته الفذة – حتى في حالة اعيائه – بتقديم توجيهات نيرة لإرواء وإنماء هذا البحث، بعزيمة لا تلين وشفافية لطيفة.

وأقدم شكري الى الدكتور مروان القيسي فهو لم يتلكأ بتقديم توجيهاته البناءة.

كما وأتوجه بالشكر الى الدكتور محمد العمري من كلية الشريعة، الدكتور محمد عليمات من كلية التربية، لتفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث لتزويده بملاحظاتهما واقتراحاتهما، لتحقيق غاية سامية نرنو إليها.

وأقدم شكري الى الدكتورعلي العتوم، لقيامه بمراجعة بعض فصول الدراسة، وتصويب الأخطاء اللغوية.

وأقدم شكري الى كل العاملين في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية يتقدمهم الاستاذ الفاضل الدكتور محمد عقلة عميد الكلية.

وأخيراً أقدم شكري إلى كلّ من قدم يد العون والمساعدة.

وما توفيقي الا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل

اعداد

ختام محمود القرعان

باشراف الدكتور

فاروق السامرائي

ملخص

اتجه هذا البحث في مجال الدراسات التربوية إلى بيان الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل. واحتوى على مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة تضمنت النتائج والتوصيات التي توصلت اليها الباحثة.

وقد اشتمل الفصل الأول على بيان نسب الإمام أحمد، وسيرته العلمية، وبيئته السياسية والإجتماعية والثقافية، ثم بيان المكانة العلمية للإمام وهي المحور الرئيسي في هذا الفصل.

أما الفصل الثاني فقد تضمن تطور الفكر التربوي في عصر الإمام أحمد، ومساهمته في تطوّره، فاشتمل على لمحة عن الفكر التربوي في عصر السيرة والراشدين، ثم العصر الأموي، وبيان طبيعة الفكر التربوي في عصر الإمام ومساهمته فيه، والسمات المميزة له، ومساهمة الإمام في تطوّره في مجالات متعددة.

أما الفصل الثالث فقد احتوى الآراء التربوية للإمام، وتضمن آداب العالم والمتعلم، ومفهوم الزهد والورع عند الإمام أحمد وأثرهما في التربية السلوكية، وأهداف التعليم الإسلامي، وخصائصه، ومناهجه، وطرق تدريسه.

والفصل الرابع وهو الأخير، فقد تناول محنة الإمام أحمد وأثرها التربوي، فألقى الضوء على مفهوم المحنة، ونظرة تاريخه، ثم بيان ثبات الإمام أحمد في مواجهة الإنحراف العقائدي، ودعوته للعودة للأصول الصحيحة دون تحريف أو تبديل، ثم بيان الآثار التربوية للمحنة.

وانتهت هذه الدراسة بخاتمة تضمنت النتائج والتوصيات، وأهمها أن الإمام أحمد هو علم من أعلام الفكر التربوي الإسلامي، الذين ساهموا في تنشيطه وتطويره وخاصة في قيامه في مواجهة علماء الكلام، ودعوته للعودة للكتاب والسنة وهما المصدران الأساسيان في التربية الإسلامية.

ومن أهم التوصيات مواصلة البحث في مجال التربية السلوكية عند الإمام أحمد لما فيه من الاستفادة الجليلة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــدمة

وتتضمن ما يلي:

١- مدخل إلى البحث و بيان مفهوم الفكر التربوي الإسلامي

٢- إختيارالبحث وأهميته

٣- تحديد موضوع الدراسة

٤- أهداف البحث

٥- منهجية البحث

٦- الدراسات السابقة

٧- الرموز المستخدمة في البحث.

٨- هيكلية البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أكرم المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فإن هذا البحث يتناول الحديث عن فكرٍ تربويٍ لإمام جليل في علمه، كبير في قدره، أسهم في مجالات متعددة من صروح العلم والمعرفة، إنه الإمام الزاهد أحمد بن حنبل، أحد أئمة الفقه الأربعة، والذي عاش حياته في خدمة كتاب الله وسُنَّة رسوله الكريم -صلى الله عليه وسلم- ونذر نفسه للدفاع عن عقيدة التوحيد، ومواجهة البدع والضلالات، فقارع فكر المعتزلة، وتحدّى زيغهم، انتصاراً لعقيدة الإسلام اللاحبة القويمة، وتمسك بالعقيدة الإسلامية، وآثر اتباع الكتاب والسنّة والعمل بهما، وسعى إلى الحفاظ عليهما من تحريف أهل العقائد والمذاهب الباطلة.

أبدع الإمام أحمد في نتاجه الفكري، فتنوعت تصانيفُهُ لتنوع ثقافته مما أثرى فكرَ الأمة التربوي، وأسهم في مجالات متعددة في التربية الإسلامية فأعطى نتاجاً متنوعاً في مجال التعليم الإسلامي، وفي التربية السلوكية.

فالإمام أحمد علم من أعلام الفكر التربوي الإسلامي تميَّز بفكرهِ المعتمد على الأصول الصحيحة، فاتجهت هذه الدراسة اتجاهاً تربوياً لتوصل فكر الأمة التربوي، وتطرح الفكر التربوي التغريبي الذي هو سهم يطعن الأمة الإسلامية.

وقبل أن نعرض الحديث عن جوانب الفكر التربوي عند الإمام أحمد، نستعرض بعض المفاهيم في الفكر التربوي الإسلامي.

مفهوم الفكر التربوي الإسلامي:

إن الفكر في مفهوم اللغة يعني : إعمال الخاطرِ في الشيء[1]

وفي الإصطلاح: «اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان، سواء أكان

(١) إبن منظور: لسان العرب ٥/٦٥.

قلباً أم روحاً أم ذهناً بالنظر والتدبر، لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء»[1].

أما مفهوم التربية في اللغة فمن ربا الشيء أي زاد ونما، وأربيتُهُ: نميتُهُ، وفي التنزيل العزيز: «ويربي الصدقات»[2] ومنه أُخِذَ الرِّبا الحرام، وربيتُهُ تربية أي غذوته [3].

أما مفهوم التربية الإسلامية في الإصطلاح تنصّبُ جميعها في مفهوم وتنشئة وبناء وإعداد الإنسان الصالح من جميع جوانبه المختلفة، الصحية، والعقلية، والإعتقادية، والروحية، والأخلاقية، والإرادية، والإبداعية، في مراحل نموِّهِ المختلفة، في حدود ما أتى به الإسلام من قيم وطرق تربوية[4].

ومفهوم الفكرِ التربوي الإسلامي يُعتبر حصيلة النتاج الفكري لعلماء التربية الإسلامية.

٢- اختيار البحث وأهميته:

إن الفكر التربوي للإمام أحمد يمثل الإتجاه العام لفكر أهل السُّنة والجماعة. ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة، وخاصة والأمة العربية والإسلامية تعيش واقعاً فكرياً متردياً، نتيجة التلاقح الفكري بين الشَّرق والغرب من غير ضابط عقدي أو معيار شرعي، وكذلك نتيجة التغريب في معظم جوانب الحركة الفكرية للعالم الإسلامي وجاء هذا البحث:

١- ليكشف جانباً مهماً من تراث علماء الأمّة الاسلامية ومنه، ما تركه الامام الجليل أحمد بن حنبل، حيث أثرى الفكر التربوي وأصّل قضاياه. وهذه الدراسة تأخذ إتجاهاً تربوياً في منهجية البحث العلمي، لأن الشهرة السائدة عن الإمام أحمد بن حنبل، أنه محدِّث، وفقيهٌ، وكلاهما أحدث له مكانة خاصة، ومنزلة سامية في قلوب الكثير من أبناء الأمة الإسلامية، حتى أنّه لا يُذكر اسمه، إلاّ ولفظةُ

(١) د. طه جابر العلواني: الأزمة الفكرية المعاصرة/١٥.

(٢) سورة البقرة آية. ٢٧٦.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، ١٤/٣٠٤ - ٣٠٧.

(٤) مقداد يالجن: جوانب التربية الإسلامية/٢٦.

«الإمام» متصلة به. فجاء هذا البحثُ تشريفاً لصفحات التربية الإسلامية داخل إطار أعلام الفكر التربوي الإسلامي.

٢- الرغبة في اثراء المكتبة التربوية المعاصرة بالدراسات التراثية الأصيلة، والعميقة الجذور ضمن التخصصات التربوية الدقيقة.

٣- حدود الدراسة:

لا تنحى الدراسة منحىً فقهياً محضاً، ولا إطاراً حديثاً متخصصاً. وإنما تسير وفق الإتجاه الفكري التربوي متأثرة بشكلٍ مباشرٍ وغير مباشر بالجوانب الفكرية التي عرض لها الإمام أحمد.

وقد استمدت الباحثة دراستها للموضوع من بعض مؤلفات الإمام أحمد وكتب التراجم التي تناثرت فيها الأخبار والآثار، وكذلك كتب التاريخ والسير الموثقة والمسندة والتي سيأتي ذكرها في فقرة الدراسات السابقة.

٤- أهداف البحث:

يهدفُ هذا البحث بشكلٍ عام إلى بيان الفكر التربوي عند الإمام أحمد بن حنبل. ويندرج تحت هذا الهدف الأهداف التالية:

١- التعريف بمكانة الإمام أحمد العلمية

٢- التعريف بمساهمة الإمام أحمد في تنشيط الفكر التربوي الإسلامي ورحلاته العلمية، وتصانيفه، وتدريسه.

٣- التعريف بآداب العالم والمتعلم عند الإمام، وبخصائص التعليم الإسلامي، وأهدافه ومناهجه وطرق تدريسه.

٤- التعريف بالتربية السلوكية مقتصرة على مفهوم الزهد والورع عند الإمام. وتنمية الاتجاهات نحوها، فأزمة الأمة أزمة أخلاقية.

٥- التعريف بمحنة الإمام أحمد، وثباته في المواجهة.

٦- التعريف بأهم الآثار التربوية للمحنة.

٧- صيانة فكر الأمة التربوي من الأفكار التربوية الغربية البعيدة عن معتقداتها، وتنمية الاتجاهات الصحيحة من خلال الرجوع إلى فكر الأمة التربوي والأخذ به.

٦- منهجية البحث:

اتبعت الباحثة في هذه الدراسة منهج الاستقراء والتحليل ضمن خطوات عديدة من أهمها:

١- تحديد مفهوم الفكر التربوي الإسلامي.

٢- البحث المتأني في مصادر التراث، وتتبع الروايات الخاصة بالإمام أحمد في الكتب المسندة والموثقة، ومن خلال مؤلفاته وما كُتب عنه.

٣- تحليل النصوص بطريقة علمية، في حدود مقصدها دون اللجوء الى المبالغة والتكلف، واستخراج المفاهيم والمبادىء التربوية من هذه النصوص وتوظيفها في خدمة مواضيع البحث.

٤- عزو النصوص إلى مصادرها الأصلية.

٥- رجعت الباحثة إلى كتب حديثة منها المراجع التي تناولت الإمام أحمد، والمراجع التربوية والتاريخية.

٦- رتبت الباحثة المصادر -عند عزوها للنصوص- ترتيباً زمنياً حسب سن الوفاة، وكذلك عند عرضها لأقوال العلماء اتبعت المنهجية نفسها.

٧- الدراسات السابقة:

لأجل الوقوف على الدراسات السابقة استعانت الباحثة بما يلي:

١- دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية وذلك من تاريخ (١٣٨٩هـ - ١٤٠٩هـ).

٢- المعلومات الببلوغرافية التي أرسلت إليَّ من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، والتي تحوي معلومات وافية عن رسائل الدكتوراة والماجستير وغيرها ممّا له ارتباط بموضوع الرسالة.

لقد قُدّمت دراسات وكتب وأبحاث عن الإمام أحمد منها قديمة، وأخرى حديثة، فمن الدراسات القديمة التي استقيتُ منها المعلومات الخاصة بالبحث هي:-

أولاً: الكتب القديمة التي تناولت الحديث عن الإمام بشكل مستقل ومنها:

١- سيرة الإمام أحمد لابنه صالح (ت ٢٦٥هـ) وهو جزأين يُترجم لحياة الإمام، مولده، ووفاته، وأخلاقه من زُهدٍ وغيرها، ثم تحدث عن المحنة بشكلٍ مفصل.

٢- المناقب لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تناول حياة الإمام أحمد بإسهاب. لم يوجد كتاب غيره تحدث بشكل مُفصل بكلِّ ما يتعلق بحياة الإمام أحمد تقريباً.
٣- الجوهر المحصل لابن السعدي (ت ٩٠٠هـ) تناول نسب الإمام، طلبه للعلم، زهده وورعه، إضافة الى محنة القول بخلق القرآن.

ثانيا: الدراسات الحديثة التي رجعت إليها وأعانتني في كتابة البحث هي:

١- الحنابلة في بغداد، محمد أحمد علي محمود. اشتمل هذا الكتاب على نشأة للفكر الإسلامي، وعصر الإمام وشيوخه، أخلاقه، طلبه للعلم، ومسنده، وتحدث عن المحنة مستقياً مادته من مناقب ابن الجوزي، وتحدث عن الحركة الحنبلية في بغداد بعد الإمام أحمد.
٢- أحمد بن حنبل حياته وعصره-أراؤه الفقهية. اشتمل هذا الكتاب على نسب الإمام أحمد وحياته العلمية، وعصره. وذكر أحداث المحنة مفصلة واحتوى على بعض الآراء الفقهية للإمام.
٣- شيخ الأمة الإمام أحمد بن حنبل، سيد الأهل. أسهب في تناوله حياة الإمام ونسبه، رأيه في قضية خلق القرآن، استقى معلوماته من حلية الأولياء، وتاريخ بغداد، والمناقب، وتاريخ الطبري.
٤- أحمد بن حنبل، عبد الغني الدقر. تحدث عن نسب الإمام، صفاته، شيوخه، وطلبه للحديث. وتحدث عن المحنة، مفصلاً فيها.
٥- الإمام أحمد بن حنبل، مصطفى الشكعة. تحدث عن نشأة الإمام، شيوخه، طلبه للعلم، ورحلاته، وكتبه وفتنة القول بخلق القران.
٦- أحمد بن حنبل، عبد الحليم الجندي. تناول نسب الإمام أحمد وعصره وأخلاقه، وأصول الإمام، القرآن الكريم والسنة، ومسنده، إضافة الى نماذج من فقهه، وتحدث عن المحنة.

٧- الرموز المستخدمة في البحث:

(د، ط) دون طبعة.
(د، ت) دون تاريخ.
(د، م) دون مكان.
(د، ن) دون ناشر.

٨- هيكلية البحث:

المقدمة وتتضمن:

١- مدخل إلى البحث وبيان مفهوم الفكر التربوي الإسلامي.
٢- اختيار البحث وأهميته.
٣- حدود الدراسة.
٤- أهداف البحث.
٥- منهجية البحث.
٦- الدراسات السابقة.
٧- الرموز المستخدمة في البحث.
٨- هيكلية البحث.

الفصل الأول: «حياة الإمام أحمد العلمية وعصره»

وتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: نشأة الإمام وسيرته العلمية.
المبحث الثاني: الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في عصره.
المبحث الثالث: مكانته بين علماء عصره.

الفصل الثاني: « تطور الفكر التربوي حتى عصره ومساهمته في تطوره»

وتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: تطور الفكر التربوي حتى عصر الإمام.
المبحث الثاني: طبيعة الفكر التربوي في عصره، والسمات المميزة له.
المبحث الثالث: مساهمة الإمام في تنشيطه، وتطويره.

الفصل الثالث: «آراؤه التربوية»

وتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: آداب العالم والمتعلم.
المبحث الثاني: مفهوم الزهد والورع عند الإمام أحمد وأثرهما في التربية السلوكية.
المبحث الثالث: أهداف التعليم الإسلامي، وخصائصه، ومناهجه وطرق تدريسه.

الفصل الرابع: «محنة الإمام أحمد، وأثرها التربوي»

وتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: نظرة تاريخية عن محنته.

المبحث الثاني: ثبات الإمام على المبدأ الصحيح في مواجهة الانحراف العقائدي، ودعوته للعودة الى الأصول الصحيحة دون تحريف أو تبديل والدور التربوي لذلك.

المبحث الثالث: أهم الآثار التربوية للمحنة.

الخاتمة:

وتضمنت النتائج والتوصيات.

الفهارس:

وضعت الباحثة فهارس للموضوعات، والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأعلام المترجم لهم.

الفصل الأول

حياة الإمام أحمد بن حنبل وعصره

وتضمن المباحث التالية:-

المبحث الأول : نشأته وسيرته العلمية

المبحث الثاني: الحالة السياسية والإجتماعية والثقافية في عصره

المبحث الثالث: مكانتُهُ العلمية

المبحث الأول: نشأته وسيرته العلمية:

أولاً- نسب الإمام وولادته ونشأته:

هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيّان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسم بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر وائل بن قاسط بن وهب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن النبت بن قيذار بن اسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليه وسلّم، المَرْوزيّ ثم البغدادي. فيلتقي نسبه مع نسب الرسول صلى الله عليه وسلّم في نزار[1].

ولقبيلة شيبان مكانة مرموقة فقيل: «إذا كنت في ربيعة فكاثر بشيبان، وفاخر بشيبان، وحارب بشيبان، وشيبان هذا هو شيبان بن ثعلبة الحصن[2].

جاءت أمُّهُ من مرو وهي حامل به، فولدتْهُ في بغداد ونشأ بها، وولادتُهُ كانت في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة، لأبٍ جنديٍّ كان قد مات شاباً، وله ثلاثون سنة، فنشأ الإمام في رعاية أمِّه[3]

ثانياً-حياة الإمام أحمد العلمية:

ابتدأ الإمام أحمد بن حنبل بالتعلم منذ صغره، فَشَرَعَ يطلبُ الحديث في سنة تسع وسبعين ومئة، وعمرُهُ ست عشرة سَنَة[4] فكان شغله الذي لم يتشاغل عنه بكسبٍ أو زواجٍ، قاطعاً المسافات البعيدة، باذلاً وقته وجهدَهُ في سبيل الحصول عليه[5].

---

(١) أبو الفضل صالح: سيرة الإمام أحمد بن حنبل ١/٣٠، أنظر النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ١/١١٠ والمزي: تهذيب الكمال، ١/٤٣٧ والعراقي: طرح التثريب، ١/٣١. وابن السعدي: الجوهر المحصل /١٠.

(٢) البغدادي: تاريخ بغداد، ٤/٤١٤.

(٣) البغدادي: تاريخ بغداد، ٤/٤١٥، وانظر إبن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٧/٢٢٤، والمزي: تهذيب الكمال، ١/٤٣٧ والذهبي: العبر في خبر من غبر١/٣٤٢. والسبكي: طبقات الشافعية، ٢/٢٩.

(٤) أبو الفضل صالح: سيرة الإمام أحمد، ١/٣١-٣٣ وأنظر إبن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٧/٢٢٣ والمزي: تهذيب الكمال. ١/٤٤٥.

(٥) ابن الجوزي: المناقب، ٥٨ وأنظر الذهبي: تاريخ الإسلام، ٩.

ومن شدة إهتمامه بالعلم أنَّه عندما سُرِقت متاعه لم يسأل عن شيء إلا عن ألواحه[1]، وشدة إهتمامه بالعلم أثارت إعجاب الآخرين في عصره يقول أحدهم: «أنا أنفق على ولدي وأجيئهم بالمؤدبين على أن يتأدبوا فما أراهم يفلحون، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم أنظر كيف يخرج؟!»[2].

ولعناية الإمام بالعلم دعا إلى فكرة التعليم المستمر، وعمل بها، ويظهر ذلك من قوله: «أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر»[3].

١- المؤسسات التربوية التي تعلم فيها الإمام أحمد:

تنوعت الأماكن العلمية التي تلقى الإمام أحمد فيها دروسه، فالتحق بالكتّاب عندما شرع في تعليمه الأوليّ، فقد ذكر أبو عفيف عنه بقوله «كان في الكتاب معنا وهو غليم نعرف فضله»[4] بعدها انتقل إلى الديوان* ليمرن على التحرير والكتابة[5]، يقول الإمام أحمد: «كنتُ وأنا غُليم أختلف إلى الكتّاب، ثم أختلفت إلى الديوان، وأنا ابن أربع عشرة سنة»[6].

واصل الإمام أحمد تعليمه العالي في المسجد، فكان يحضر المجالس التعليمية التي يعقدها كبار الشيوخ وأئمة الفقه والحديث في عصره من أمثال أبي يوسفَ الذي تلقى عليه العلم في مقتبل عمره،[7] أيضاً جلس في حلقة الإمام الشافعي في بغداد بجامع المنصور عندما تنقل الإمام الشافعي في بلاد الإسلام، يفتي الناسَ، وينشر العلم[8]. وتنوعت أماكن تعليمه مع تعدد رحلاته في طلب العلم بين البصرة والكوفة والحجاز وواسط واليمن والشام.

---

(١) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق، ٢/٤٠، وابن الجوزي: المناقب ٣٢، وأنظر المزي: تهذيب الكمال ١/٤٥٩.

(٢) ابن الجوزي: المناقب/٢١.

(٣) ابن الجوزي: المناقب/٣١.

(٤) ابن الجوزي: المناقب/٢٠.

* الديوان: مجتمع الصحف وهو فارسي.
ابن منظور: لسان العرب، ١٣/١٦٦.

(٥) أبو زهرة: ابن حنبل/٢١.

(٦) ابن الجوزي: المناقب، ٢١.

(٧) ابن كثير: البداية والنهاية./١٠/٣٤٠.

(٨) ميز الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين/٦٩.

٢- اللغات التي تعلمها الإمام أحمد:

أتقن الإمام أحمد اللغة العربية، فقد عدَّهُ الإمام الشافعي إماماً فيها[١] والإمام أحمد يشهد لنفسه في تمكنّه منها فعبّر عن ذلك بقوله: «كتبت من العربية أكثر مما كتب أبو عمرو بن العلاء»*[٢] فكأن الإمام أحمد من متخصصي اللغةِ لدرجة أنّه فاق علماءِ اللغة في عصره في إتقانها والكتابة فيها.

لم يتوان الإمام أحمد في تعلّم لغة أخرى بجانب لغة القرآن، كما فعل بعض الصحابةِ بطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم[٣] فتحدث الإمام بالفارسية، فعندما قدم على الإمام ابن خالته، سألَه الإمام عمن بقي من أهلهِ في خراسان، فكان الكلام يستعجم على ابن خالته أحياناً، فكلمه الإمام أحمد بالفارسية[٤].

٣- أصول الفتوى عند الإمام:

اعتمد الإمام أحمد بن حنبل في فَتاويه على الأصول، القرآن الكريم والسنة الشريفة، ثم أقوال الصحابة ثم الحديث المرسل والضعيف، والتجأ الإمام أحمد للقياس عند الضرورة، حين لم يجد نصاً صريحاً من الكتاب الكريم، فيفضل ذلك على الأخذ بالرأي والاجتهاد.

فهذه أصولٌ خمسة من أصول الفتوى عند الإمام، فإذا ما جاءته مسألة لا يمتلك الإمام أحمد فيها واحدةً من هذه الأصول، ترك فيها الكلام وامتنع عنه، محذِّراً من الفتوى دون أثر[٥].

---

(١) أبو يعلى: طبقات الحنابلة ١/٥.

* أبو عمر بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين بن الحارث التميمي المازني النحوي البصري (ت ١٥٤ هـ) المقرىء أحد الأئمة القراء السبعة. قرأ القرآن العظيم على حميد بن قيس الأعرج ويحيى بن يعمر وعكرمة وغيرهم.
كان مقدماً في عصره عالماً بالقراءة ووجوهها، قدوة في العلم، واللغة، إمام الناس في العربية متمسكاً بالآثار لا يكاد يخالف في اختياره ما جاء عن الائمة قبله.
ابن حجر: تهذيب التهذيب، ١١/١٩٧-١٩٩.

(٢) أبو يعلى: طبقات الحنابلة ١/٧-٨.

(٣) أنظر/ الفصل الثاني من هذا البحث /٤١.

(٤) الذهبي: سير الإعلام: ١١/٢١٧-٢١٨. وتاريخ الإسلام/ ٣٠-٣١.

(٥) أبو يعلى: طبقات الحنابلة، ١/٣١. وأنظر: إبن قيم الجوزية: أعلام الموقعين ١/٣٢.

٤- شيوخ الإمام أحمد:

تلقى الإمام أحمد بن حنبل العلم على كبار شيوخ عصره من محدِّثين وفقهاء وغيرهم. ومن شيوخه:-

١- أبو يوسف (ت١٨٢ هـ)[١] يقول الإمام أحمد: «أول من كتبت عنه الحديث أبو يوسف»[٢].

٢- هُشيْم بن بشير (ت ١٨٣هـ) قال الإمام أحمد: «أنا أحفظ ما سمعت منهُ»[٣] ويقول: «أولُ سماعي من هُشيم سنة تسع وسبعين ومائة»[٤].

٣- معتمر بن سليمان (ت ١٨٧ هـ)[٥]. جالسه الإمام تسع سنين وكان يكتب عنه ما يقول[٦].

٤- اسماعيل بن عُلية (ت ١٩٣ هـ)[٧]. تكلَّم انسان في مجلسه، فضحكَ البعضُ فغضب عليهم قائلاً: «أتضحكون وعندي أحمد بن حنبل»[٨]

٥- وكيع بن الجراح (ت ١٩٦هـ) كان الإمام أحمد دائم المذاكرة له،[٩] وقال الإمام أحمد لإبنه عبد الله: «خُذ أيَّ كتابٍ شئت من كتب وكيع، فإن شئت أن تسألني عن الكلام حتى أُخبرك بالإسناد، وإن شئت بالإسناد حتى أُخبرك عن الكلام»[١٠]

---

(١) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري صاحب أبي حنيفة، كان قاضياً وفقيهاً وعالماً وحافظاً. انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦/٢٧٨-٢٧٩.

(٢) ابن الجوزي: المناقب، ٢٣.

(٣) أبو الفضل صالح: سيرة الإمام أحمد، ١/٣١.

(٤) إبن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٧/٢٢٩.

(٥) ثقة، صدوق وقال أحمد: «ما كان أحفظ معتمر بن سليمان، قلَّ ما كُنا نسأله عن شيء إلا عنده فيه شيء». روى عن أبيه، وحميد الطويل، واسماعيل بن أبي خالد، وعبيد الله بن عمر العمري وجماعة. أنظر ابن حجر: تهذيب التهذيب، ١٠/٢٠٤-٢٠٥.

(٦) الذهبي: سير الأعلام، ١١/٢١٥.

(٧) إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم أبو بشر الأسدي ويعرف بإبن علية، وهو من أهل البصرة. روى عن عبد العزيز بن صهيب، وأيوب السختياني، وابن عون، وسليمان التيمي، والإمام أحمد وغيرهم. ثقة، مأمون. صادق، ورع تقي، أنظر العليمي المنهج الأحمد ١/٥٥.

(٨) ابن السعدي: الجوهر المحصل/٢٨.

(٩) الذهبي: تاريخ الإسلام/١٠.

(١٠) الذهبي: تاريخ الإسلام/١٠ وأنظر السبكي: طبقات الشافعية، ٢/٢٨.

٦- عبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨هـ). خرج الإمام أحمد ويحيى بن معين من مجلس هُشيم، وقد أدخلا عبد الرحمن إلى المسجد فكتبا عنه [(١)].

٧- يحي بن سعيد القطان (ت ١٩٨هـ)، وقال الإمام أحمد: «كنت مقيماً على يحي بن سعيد القطان ثم خَرجت إلى واسط»[(٢)].

٨- الإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ). صحبه الإمام أحمد مدة إقامته في بغداد في رحلته الثانية، وكان يأخذ الإمام المسائل التي لا دليل لها عنده من قول الشافعي [(٣)].

٩- يزيد بن هارون (ت ٢٠٦هـ) قال خلف بن سالم: «كنا في مجلس يزيد بن هارون، فمزح يزيد مع مستمليه فتنحنح أحمد، وكان في المجلس»[(٤)].

١٠- عبد الرزاق بن همَّام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، أقام الإمام عنده ما يقارب السنتين »[(٥)].

٥- تلاميذ الإمام أحمد:

لقد أحاط بالإمام نخبة من التلاميذ البارزين في العلم، والذين أصبح لهم شأن كبير في عصرهم، ومن هؤلاء:

١- مهنا بن يحي الشامي (ت ٢٤٩هـ) قال: لزمت أبا عبد الله ثلاثاً وأربعين سنة »[(٦)].

٢- عبد الوهاب بن الحكم الورّاق أبو الحسن (ت ٢٥١هـ). صحب الإمام أحمد وسمع منه[(٧)].

٣- اسحق بن منصور الكوسج (ت ٢٥١هـ) تلميذ للإمام أحمد[(٨)].

---

(١) ابن أبي حاتم: المجروحين ٥٢/١.

(٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق. ٢٣٢/٧.

(٣) ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية ٥٦/١.

(٤) أبو نعيم: الحلية ١٦٩/٩ وأنظر إبن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٢٣٢/٧-٢٣٣ وإبن السعدي: الجوهر المحصل/٢٧.

(٥) أبو نعيم: الحلية. ١٧٤/٩.

(٦) البغدادي: تاريخ بغداد. ٢٦٨/١٣.

(٧) العليمي: المنهج الأحمد، ١٢٣/١.

(٨) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٢١٨/١.

٤- الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ) قال: «دخلت بغداد آخر ثمان مرات كلُّ ذلك أجالس أحمد بن حنبل»[1].

٥- أبو بكر الأثرم، أحمد بن محمد بن هانيء (ت ٢٦١هـ)[2] روى عن الإمام أحمد وتفقهَ عليه، ويسأله عن المسائل والعلل[3].

٦- إبراهيم بن هانيء أبو اسحق النيسابوري (ت ٢٦٥هـ) [4] سمع الإمام أحمد[5].

٧- صالح بن الإمام أحمد (ت ٢٦٦هـ)[6] كان الناس يكتبون إليه من خراسان ومن المواضع يسأل لهم الإمام عن المسائل[7].

٨- حنبل بن اسحق أبو علي (ت ٢٧٣هـ)[8] قال: «جمعنا أحمد بن حنبل أنا وصالح وعبدالله وقرأ علينا المسند»[9].

٩- عبد الملك بن عبد الحميد الميموني (ت ٢٧٤)[10]، من أصحاب الإمام، صحبه اثنتين وعشرين سنة وقد صحبه ولازمه من سنة خمس ومائتين إلى سنة سبع وعشرين ومائتين[11].

---

(١) العليمي: المنهج الأحمد ١/١٣٥.

(٢) جليل القدر، حافظ، إمام، سمع الإمام أحمد، وعفّان بن مسلم، وأبا بكر بن أبي شيبة وغيرهم. نقل عن الإمام أحمد مسائل كثيرة، وصنفها، ورتبها أبواباً. العليمي: المنهج الأحمد ١/١٤٤.

(٣) العليمي: المنهج الأحمد ١/١٤٤.

(٤) ورع، صالح، نقل عن الإمام أحمد مسائل كثيرة. حدث عن عبد الله العيشي، ويعلى، ومحمد بن عبيد وغيرهم. روى عنه عبد الله بن أحمد بن حنبل، ومحمد بن عبدوس، ويحيى بن محمد بن صاعد. وثقه الإمام أحمد والدار قطني. أبو يعلى: طبقات الحنابلة ١/٩٧. والعليمي: المنهج الأحمد ١/١٥٣.

(٥) أبو يعلى: طبقات الحنابلة، ١/٩٧.

(٦) أكبر اولاده، سمع أباه، وعلي بن المديني، وأبا الوليد الطيالسي. روى عنه ابنه زهير، وأبو القاسم البغوي، ومحمد بن جعفر الخرائطي. صدوق ثقة. العليمي: المنهج الأحمد، ١/١٥٤-١٥٥.

(٧) العليمي: المنهج الأحمد ١/١٥٥.

(٨) أبو علي الشيباني، ابن عم الإمام أحمد، سمع أبا نعيم الفضل بن دكين، وأبا غسان مالك بن اسماعيل، وعفان بن مسلم، وسعيد بن سليمان وغيرهم. ثقة، ثبت، صادق. أبو يعلى: طبقات الحنابلة ١/١٤٣.

(٩) السبكي: طبقات الشافعية ٢/٣١، وأنظر ابن السعدي: الجوهر المحصل/٤٩، والداوودي: طبقات المفسرين. ١/٧٢.

(١٠) سمع من ابن علية، ويزيد بن هارون، وأبا معاوية، وعلي بن عاصم وغيرهم. إمام جليل القدر، ثقه. انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ٦/٣٥٥. وانظر العليمي: المنهج الأحمد. ١/١٧٠-١٧١.

(١١) العليمي: المنهج الأحمد ١/١٧٠.

١٠- أبو بكر المروزي (ت ٢٧٥هـ)[1] روى عن الإمام أحمد مسائل وأحاديث كثيرة[2].
١١- أبو داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ) سمع الإمام أحمد[3].
١٢- بقي بن مخلد (ت ٢٧٦هـ)[4] سمع من الإمام أحمد[5].
١٣- إبراهيم بن اسحق الحربي (ت ٢٨٥هـ) سمع الإمام أحمد، وكان يقول عنه: «ولقد صحبته عشرين سنة»[6].
١٥- عبدالله بن أحمد بن حنبل (ت. ٢٩هـ) قال: «كُلُّ شيء أقول قال أبي قد سمعته مرتين وثلاثاً وأقله مرة»[7]

ثالثاً-السلوك الإجتماعي للإمام أحمد:

كان الإمام أحمد بن حنبل مقتدياً برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سلوكه ومعاشرته الناس. فخالطهم وعاشرهم في حدود مرضاة الله. وكان يشارك مجتمعه في أفراحه وأحزانه، ويجيب دعوة داعيه، ويقبل الهدية ويقابلها بالحسنى، ويعود المريض، ويحضر الجنائز[8].

وفي حضوره للجنازة يتبع سلوكاً خاصاً، فيتقدم أمام الجنازة أو يكون قريباً منها، أما معاملته للميت فيقبّل جبهته وفعل ذلك مع عمّه عبدالله عند وفاته.

(١) أحمد بن محمد بن الحجاج بن عبد العزيز، أبو بكر المروذي. كانت امه مروذية، وأبوه خوارزمياً، وهو المقدم من أصحاب أحمد لورعه وفضله، وكان يأنس به الإمام أحمد. فاضل، ورع، روى عن الإمام مسائل كثيرة، العليمي: المنهج الأحمد ١/١٧٢.

(٢) البغدادي: تاريخ بغداد ٤/٤٢٣.

(٣) العليمي: المنهج الأحمد. ١/١٧٦.

(٤) أبو عبد الرحمن، الأندلسي، الحافظ. رحل الى الإمام أحمد وسمع منه ومن أبي بكر بن أبي شيبة وغيرهما، وروى عنه محمد بن فضيل، ومحمد بن يحيى بن أبي عمر، وإبراهيم بن محمد الشافعي وغيرهم. رحل في طلب العلم وله علم بالحديث. العليمي: المنهج الأحمد. ١/١٧٧-١٧٨.

(٥) العليمي: المنهج الأحمد. ١/١٧٧.

(٦) ابن السعدي: الجوهر المحصل /٣٨.

(٧) البغدادي: تاريخ بغداد ٩/٣٧٦.

(٨) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق، ٢/٣٨، وانظر ابن الجوزي: صفة الصفوة، ٢/٣٤١-٣٤٨، وابن الجوزي: المناقب /٢٤٢، والشعراني: الطبقات الكبرى، ١/٥٤.

وعند وصول الجنازة إلى المقبرة كان يخلع نعليه[1] متبعاً ما قاله الرسول -صلى الله عليه وسلم- عندما رأى رجلاً يمشي بين المقابر في نعليه «يا صاحب السِّبتيّتين ألقهما»[2].

شارك الإمام أحمد في جهاد الأعداء، ورابط في ثغور المسلمين، فقدم نفسه لله ولأمته، فغزى في طرسُوس. ويقول عنها: «رأيت العلم بها يموت»[3].

رابعاً: وفاة الإمام أحمد:

لقد وافاه الأجل في الثاني عشر من شهر ربيع الأول يوم الجمعة، سنة احدى وأربعين ومائتين. ،وعمره سبع وسبعون سنة[4]، ودفن الإمام أحمد بباب حرب في بغداد[5]. وتم دفنه بعد العصر، وقد حَضر جنازتَه عددٌ كبيرٌ من الناس من أهل بغداد ومن غيرهم[6] رحمهُ الله.

---

(1) أبو الفضل: سيرة الإمام أحمد ١/٣٩-٤٠.

(2) ابن ماجة: السنن، ١/٥٠٠، كتاب الجنائز، باب ما جاء في خلع النعلين في المقابر قال الألباني: (حسن) الألباني: صحيح سنن ابن ماجة ١/٢٦٢.

(3) الذهبي: سير الأعلام: ١١/٣١١.

(4) أنظر ابن عساكر:تاريخ مدينة دمشق. ٧/٢٢٤ وتهذيب تاريخ دمشق ٢/٤٨ . وأنظر السبكي: طبقات الشافعية، ٢/٣٤ والعراقي: طرح التثريب، ١/٣٢.

(5) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق ٢/٣٢.

(6) ابن سعد: الطبقات. ٧/٣٥٥.

المبحث الثاني: الحياة السياسية والإجتماعية والثقافية في عصر الإمام

أولاً- الحياة السياسية:

وصلت الدولة العباسية في عصرها الأول أعلى درجات الإزدهار السياسي والإجتماعي والثقافي في عاصمة الخلافة الإسلامية بغداد، وخاصة في عهد الرشيد وابنه المأمون.

أقام بنوالعباس دولتهم على أساس الدين، والقائم الأول بأعمال الدولة هو الخليفة، ثم يليه الوزير، ويتبعه القاضي[1].

قرب بنو عباس الفقهاء والعلماء إليهم، وارتدوا بردة الرسول صلى الله عليه وسلّم، ولكن رغم هذا الشعار فإن خلافتهم وراثية، قال الذهبي فيما يتعلق بوراثية الخلافة: «أول وهن جرى في دولة الإسلام من حيث الإمامة[2] فأبو العباس بايع لأبي جعفر المنصور[3] وكذلك بايع أبو جعفر للمهدي[4] والمهدي أوصى من بعده لابنه هارون[5] ثم بايع الرشيد الأمين والمأمون[6].

الأحوال السياسية الداخلية في هذا العصر:

كان لقوة شخصية بني العباس أثر في استقرار أوضاع الدولة، ووضع حدّ للفتن الداخلية، الأمر الذي جعلهم يمارسون سلطاتهم بحرية.

اندلعت الفتن الداخلية في هذا العصر، فقام الخلفاء العباسيون بالقضاء عليها من أجل توطيد أركان الدولة، وتمكن أبو مسلم قائد أبي جعفر المنصور من القضاء على فتنة عبدالله بن عليّ بنصيبين وفرّق جمعهم[7]. وقضى على

---

(١) فيليب حتيّ: تاريخ العرب /٣٨٥.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء/ ٤٦١-٤٦٢.

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي/٢/٣٦١.

(٤) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٢/٢٩.

(٥) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي /٢/٣٩٥.

(٦) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي /٢/٤١٦ وأنظر المسعودي: مروج الذهب المجلد الثاني/٣٣٦ وأنظر السيوطي: تاريخ الخلفاء/٤٦١-٤٦٢.

(٧) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي/ ٢/٣٦٦ وأنظر المسعودي: مروج الذهب/المجلد الثاني/٢٧٥.

الروانديـة القـائلـين بـالتنـاسخ[1]. وفي المدينـة المنورة قـضـى المنصـور عـلى فتـنـة محـمـد النفس الزكيـة وقتـله[2]. وفي سنـة ست وسـتين ومـائـة تتـبـع المهدي الزنادقـة حتى المتهمين منهم وأبادهم[3].

أمـا في عـهـد الرشـيـد أصـبح لآل بـرمك نـفـود كـبـيـر، فـأعطاهم الوزارة، وساعدوه في اخضاع الفتن، والثورات الداخلية، ولكن الرشيد تغير، فقتل جعفر بن يحي البـرمكي، وسـجـن يـحـيى وابنـه الفـضـل[4]. ومـا حصل لهم نـتـيـجـة زيادة نفوذهم وتدخلهم في شؤون الدولة[5].

وفي سنـة تسـعـين ومـائـة حصـلت الفتـنـة بين الأمين وأخيه المأمون، فبعث له المأمون جيشاً لقتاله بقيادة طاهر بـن الحسين، وهزم قـائـد المأمون جيش الأمين[6]. فتولى المأمون من بعده زمام الأمر، وقد وصف السيوطي المأمون بقوله: «أفضلُ رجال بني العباس . . لولا ما أتاه من محنة الناس في القول بخلق القرآن»[7].

وقد حصلت فتن وثورات داخلية في عهده ومنها خروج محمد بن ابراهيم المعروف بابن طباطبا، ونائبه في الحرب أبو السريا السري بن منصور، الذي دعا إلى الرضا من آل محمد -صلى الله عليه وسلم-، والعمل بما جاء في الكتاب والسُّنة، وكان سبب خروجه توسع نفوذ وزيره الفضل بن سهل، فغضب لذلك بنو هاشم مما أثار الفتن[8]. ولكن هزمه هرثمة بن أعين وحمله على الفرار من الكوفة في سنة مائتين، وقتله بعد ذلك الحسن بن سهل[9] وفي سنة (٢١٨هـ) تمكن المأمون من القضاء على ثورة البابكية، الذين كانوا يهدفون إلى التخلص من

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء/٤١٦.

(٢) المسعودي: مروج الذهب /المجلد الثاني، ٢٧٩-٢٨٠.

(٣) السيوطي: تاريخ الخلفاء /٤٣٧

(٤) محمد الخضري بك: تاريخ الأمم الإسلامية /١١٣-١٢١.

(٥) محمود شاكر: الدولة العباسية.١٦١/١.

(٦) السيوطي: تاريخ الخلفاء/٤٧٥-٤٧٦.

(٧) السيوطي: تاريخ الخلفاء/٤٨٩.

(٨) إبن الأثير: الكامل في التاريخ /٥/١٧٣-١٧٤.

(٩) السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب، العصر العباسي الأول ٣/٨١.

خلافة بني العباس[1] ولكنّها عادت واشتد أمرُها في عهد المعتصم، فقضى عليهم، وشتت جمعهم[2] وظهر الصراع بين الفرس والترك، نتيجة لبروز عنصر الأتراك الذين كانوا يشكلون قوة استند إليها الخلفاء[3].

الأحوال السياسية الخارجية في هذا العصر :

أحاطت بالدولة العباسية أكثر من قوة معادية، ومنها الروم الذين استغلوا انشغال العباسيين بتثبيت دعائم دولتهم، فهجموا على بعض ثغور العباسين، فعندما توطدت أركان الدولة استطاع المنصور أن يدخل في بلادهم ويسترجع ملاطية[4] بعد ذلك قام العباسيون ببناء الثغور واستطاعوا أن يفتحوا عدة حصون في بلاد الروم[5] وبقيت غزوات المسلمين لبلاد الروم مستمرة، ففي سنة (٢١٦هـ) غزا المأمون أرضهم وفتح اثنى عشر حصناً[6].

وكذلك غزا المعتصم بلاد الروم سنة ثلاث وعشرين ومائتين وشتت جمعهم، وخرب ديارهم، وقتل منهم ثلاثين ألفا[7].

أما عن علاقة العباسيين مع الدولة الأموية في الأندلس، فقد عزم أبو جعفر المنصور أن يقضي على عبد الرحمن الأموي، ولكنّه هزم جيش أبي جعفر في قرمونه[8] وشكلت دولة العباسيين قوة أحاطت بالأندلس، وحاصروها عسكرياً، ومن ناحية سياسية عمل العباسيون على بث الفتن فيها[9].

أما عن علاقة العباسيين مع البيزنطيين فهي علاقة حرب[10].

---

(١) يوسف العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية، ٩٦-٩٧.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢/٤٧٣-٤٧٥.

(٣) حسين سليمان: الدولة الإسلامية في العصر العباسي/٢١.

(٤) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية ١/١٢٤-١٢٥.

(٥) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢/٣٩٦.

(٦) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢/٤٦٥ أنظر السيوطي: تاريخ الخلفاء ٤٩٢-٤٩٣.

(٧) السيوطي: تاريخ الخلفاء/٥٣٤.

(٨) السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب، العصر العباسي الأول ٣/٦٥.

(٩) عبد البديع عبد العزيز الخولي: الفكر التربوي في الأندلس، /٢١-٢٢.

(١٠) السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب، العصر العباسي الأول ٣/٦٧-٦٨.

دور بني شيبان السياسي في هذا العصر:

احتلت قبيلة بني شيبان مكانةً مرموقة في الجاهلية، فاشتهرت بغزواتها وبروز ابطالها، وعند مجيء الإسلام دخل العديد منهم في الإسلام وشاركوا المسلمين في فتحهم للعراق وغيرها[1]، وبقيت هذه المكانة لهم في العصر العباسي الأول. فحارب بنو شيبان مع الأمويين ضد العباسيين، وأشتهر منهم معن بن زائدة الذي قتلَ قحطبة قائد الجيش العباسي، وهرب معن ولم يستطع أن يحقق ما أراد.

عاد معن ثانية ليجعل لهم مكانة في قلوب الخلفاء العباسيين، فعندما غَارت الراوندية على أبي جعفر المنصور قاتلهم معن، فولاه أبو جعفر اليمن، وفي اليمن استطاع القضاء على الفتن هناك، وعندما ظهرت الخوارج في خراسان تمكن معن من القضاء على هذه الفتنة، ولكن الخوارج قتلته في النهاية[2] وفي عهد الرشيد استعان بهم للقضاء على الثورات والفتن الداخلية، ومنهم:-

يزيد بن مزيد الشيباني الذي قضى على ثورة الوليد بن طريف الحروري في الجزيرة سنة (١٧٩هـ)[3]. وفي عهد المأمون كانت لهم ثورات، ومنها ثورة ابن طباطبا التي سبق الحديث عنها.

أما في عهد الواثق فقد خرج محمد بن عمرو الشيباني، ولكن الواثق حبسه[4]. عاصر الإمام أحمد هذه الظروف السياسية، وهي ظروف غير مستقرة من حيث الفتن والثورات بالإضافة الى مساندة السلطة للمعتزلة فشهد فتنة الأمين والمأمون. وتغلغلت المعتزلة التي قالت بخلق القرآن في السلطة في عهد المأمون واستمرت إلى أول عهد المتوكل، وظهر الابتداع في الدين، وذاق الإمام أحمد عذاب هذا الابتداع، وتمسك بالسُّنة ورغم انحراف الخلفاء عن الاتجاه السُّني وميلهم للاعتزال، ومعاناة الإمام بهذا، رغم ذلك فإنه لم يخرج على السلطان بسيفه. فأعطى لنا اتجاهاً مستمداً من الآثار الصحيحة عن الرسول -صلى الله عليه وسلّم- في مواجهة مثل هذه الظروف فيقول: «السمع والطاعة للأئمة، وأمير المؤمنين، البر والفاجر ومن ولي الخلافة فاجتمع الناس عليه، ورضوا به،

---

(١) محمد يوسف غندور: الشيبانيون في العصر العباسي الأول ٢٢-٤٢.

(٢) محمد يوسف غندور: الشيبانيون في العصر العباسي الأول ٥٩-٦٩.

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢/٤١٠.

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢/٤٨٣.

ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة، وسمي أمير المؤمنين . . .ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين، وقد كان الناس اجتمعوا عليه، وأقروا له الخلافة بأي وجه كان بالرضى أو بالغلبة، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلّم، فإن مات الخارج مات ميتة جاهلية »[1].

ما نهى عنه الإمام أحمد هو الخروج بالسيف، فالطاعة ليست هي أن يقول كلٌ ما يرضي الخليفة سواء حقاً أم باطلاً، فهذا هو رياء ونفاق[2].

ثانياً: الحياة الاجتماعية في عصر الإمام:

يُقصد بالحياة الإجتماعية فئاتُ المجتمع من حيث الدين والجنس، والمناصب الإدارية التي يتولونها، ثم وصف مظاهر الحياة الاجتماعية من عمارةٍ وفن، وطعامٍ ولباس وغيرها.

أما من حيث الدين فالمجتمع في عصر الإمام أحمد سادت به طوائف دينية متعددة، والغالبية العظمى من هؤلاء هم المسلمون وينقسمون إلى مذاهب متعددة منها:[3]

١- المذهب السُّني: وهو مذهب الجماعة الإسلامية من أهل الحديث والرأي، وهؤلاء متفقون على قولٍ واحدٍ في توحيد اللّه وصفاتِه. وقبول ما صح عن النبي صلى اللّه عليه وسلّم[4].

٢- المعتزلة: وهم أصحاب وأتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل حلقة الحسن البصري، فقيل لهم المعتزلة، لأنّهم اعتزلوا قول الأمة[5] وهم متفقون على القول بأن كلام اللّه مخلوق[6].

---

(١) ابن الجوزي: المناقب / ١٧٥-١٧٦.

(٢) محمد أبو زهرة: ابن حنبل / ١٦١.

(٣) امينة البيطار: تاريخ العصر العباسي /٣٥٢.

(٤) عبد القاهر التميمي: الفرق بين الفرق / ٢٦.

(٥) عبد القاهر التميمي: الفرق بين الفرق / ٢٠-٢١.

(٦) عبد القاهر التميمي: الفرق بين الفرق /١١٤.

٣- الشيعة: فهم أشياع علي بن أبي طالب، واعتقدوا أن الأمامة يجب أن تكون في أولاده[1]. ومنهم من يزعم بأن القرآن مخلوق والبعض يقول لا خالق ولا مخلوق[2].

أما من حيث الجنس فتكون المجتمع من العرب وخاصة المضريين واليمنيين، ثم الفرس، وخاصة الخراسانيين والترك والمغاربة[3] والروم والهنود والزنوج وغيرهم[4].

وظهرت العصبيّة بشكلٍ واضحٍ فهناك صراع بين العرب العباسيين من جهة، والفرس من جهة أخرى، وظلَّ هذا الصراع مستمراً[5].

وهناك الشعوبية التي حوت التعدد في الاجناس في اللغة والدين، والطوائف، ولكنّها تكن العداء للعرب والإسلام لهدم العقيدة الإسلامية[6]. إضافة الى النزاع بين الجواري والحرائر، فأولاد الحرائر يفخرون على أولاد الجواري، كالذي كان بين الأمين والمأمون أولاد الرشيد، فأم الأمين حرة، أما أمُّ المأمون فهي جارية[7].

وفي المغرب الأقصى فهناك العرب والبربر، وفي مصر الأقباط والروم، وفي الأندلس تكون المجتمع من العرب الفاتحين ومن أهل البلاد الذين أسلموا والذين لم يسلموا[8].

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، ١/١٤٦.

(٢) الأشعري: المقالات / ٤٠.

(٣) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ٢/٣٩٧.

(٤) عبدالله التركي: أصول مذهب الإمام أحمد / ٢٠.

(٥) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٢/١٩٣.

(٦) فاروق عمر فوزي: الفكر العربي في مجابهة الشعوبية / ٦-٧.

(٧) محمد الخضري بيك: تاريخ الأمم الإسلامية/١٥٧-١٥٨.

(٨) سعدي حسين علي جبر: فقه الإمام أبي ثور / ٢٧.

المناصب الإدارية: فأولها الخليفة ويليه الوزير، والوزراء يختارهم الخليفة من الفرس. ففي عهد الرشيد أسندتْ الوزارة الى آل برمك. أما المأمون فرفع من شأن وزرائه. وبخاصة الفضل بن سهل[1]. ثم الكتّاب والحجاب[*] والقضاة[2].

مظاهر الحياة الاجتماعية:

اهتم خلفاء بني العباس بالمظاهر الاجتماعية من بناءٍ وعمران وغناءٍ وطعام ولباس. ومن اهتمامهم بالبناء، والعمران، عمارتهم للمدن، فبنى أبو جعفر المنصور مدينة بغداد سنة (١٤٤هـ) بين دجلة والفرات[3].

واهتم الخلفاءُ ببناء القصور إضافة إلى تشييد المساجد، فشيد أبو جعفر المنصور مسجد الخيف بمنى[4]. أما الرشيد فبنى قصراً وزينه بأفضل الرُّخام والزينة[5] والواثق بنى قصر الهاروني في مدينة سامرا[6]. إضافة للقصور، قاموا بعمارة الطرق والمساجد، فالمهدي قام بعمارة طريق مكة[7].

انشغل الخلفاء العباسيون في بداية عهدهم بتوطيد أركان الدولة، واخماد الفتن والثورات لذا لم يكن هناك مجالٌ للترف واللهو والطرب[8]. أما بعد أن أخمدت هذه الفتن، اتجه بعض الخلفاء إلى مجالس اللهو والطرب في أوقات فراغهم[9].

---

(١) ابراهيم سلمان الكردي: طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول /١٣-١٧.

(*) **الحجاب**: من كبار موظفي الدولة، وهو همزة الوصل بين الخليفة والناس.
(أنظر ابراهيم سلمان الكردي: طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول /٣٢).

(٢) ابراهيم سلمان الكردي: طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول /٢٢-٣٥.

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢/٣٧٣.

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢/٣٦٩.

(٥) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ٢/٤٢١.

(٦) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ٢/٤٢١.

(٧) السيوطي: تاريخ الخلفاء، / ٤٣٦.

(٨) أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي/٦٧-٦٨.

(٩) المسعودي: مروج الذهب، المجلد الثاني / ٣٤٤-٣٤٥.

وبعضهم انصرف عن حياة المجون، مثل المأمون، الذي أدرك ما تحتاجه الدولة من حَزم بسبب الحروب، إضافة إلى ميله للعلم فله ملاذ عقلية، فهو يحب الشعر والفلسفة والجدل والمناقشة ومناظرة العلماء. في المسائل الدينية والفقهية[1].

وبعضهم انصرف إلى الغناء وكانت له أصوات وألحان عملها على نحو مائة صوت، وكان حاذقاً بضرب العود، وراوية للأشعار والاخبار مثل الخليفة الواثق[2].

ومن غير الخلفاء وجدت طبقة الأغنياء الذين قلدوا الخلفاء وزادوا عليهم في هذا المجال. وعلى الرغم من وجود هذه الفئة من المترفين والأغنياء توجد فئة تناقض هذا الإتجاه وهم الفقراء والزهاد[3].

أما مظهر اللباس والطعام. فتأنق الخلفاء به، فأنفقوا أموالاً كثيرة على الطعام واللباس، وأسرفوا بهما، فالمعتصم هو أول من ثرد الطعام، وكثّرهُ حتى بلغ ألف دينار في اليوم[4] وأسرف الخلفاء في اللباس غاية الإسراف[5].

كلُّ هذه المظاهر الاجتماعية نتيجة الامتزاج بين العرب وغيرهم.

عاش الإمام أحمد وسط هذه الظروف الاجتماعية فابتعد عن حياة الترف، لأنه اعتبر الدنيا ملهية عن الآخرة. فيقول: «قليلها يجزئ وكثيرها لا يجزئ»[6] فرفض أموالهم وعيشتهم واتجه اتجاهاً مناقضاً لفئة الترف وعاش حياته زاهداً ورعاً. والإمام من أهل السنة والجماعة في اتباع المنهج الصحيح دون أن يتأثر بتأويل المعتزلة وغيرهم.

---

(١) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٢/٧٤.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء /٥٤٥.

(٣) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ١/١٢١-١٢٨.

(٤) السيوطي: تاريخ الخلفاء / ٥٣٧.

(٥) ابراهيم الكردي: طبقات مجتمع بغداد /٣٦-٣٧.

(٦) الذهبي: سير الأعلام، ١١/٢٠٨ وأنظر العليمي: المنهج الأحمد ١/١١.

ثالثاً:الحياة الثقافية في عصر الإمام أحمد:

ازدهرت الحركة الثقافية في عصر الإمام أحمد ازدهاراً واسعاً، ومما ساعد على هذا التقدم توسع الدولة الإسلامية، والتقائها بالثقافات الأخرى.

إضافة إلى عامل وجود الثقافات أهتم الخلفاء أنفسهم بالعلم والعلماء، فأبو جعفر المنصور كان على علم بالحديث والأنساب[1]، فعرف الحلال والحرام وروى العلم ايضاً[2]. أما الرشيد فأحب العلم والعلماء[3] ففي عهده عُقدت المجالس العلمية، مثل مجلس يحيى بن خالد «وقد كان يحيى بن خالد ذا علمٍ ومعرفةٍ وبحثٍ ونظر، وله مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الإسلام وغيرهم من أهل الآراء والنحل»[4] ومن اهتمامه بالعلم اهتم بالعلماء أنفسهم فقد عظّم الأصمعي وأخذ العلم عنه[5]، ويبدو مزيد عنايته ومعرفته بالعلم ما ظهر من خلال وصيته لمؤدب ولده الأمين[6].

أما المأمون فأعلم الخلفاء العباسيين، ولة معرفة بمختلف العلوم وله مجالسٌ علمية يجتمع فيها العلماء ويجلس للناس ويجيبهم عن المسائل التي يلقونها عليه[7].

وفي نهاية عهد المأمون كان هناك مجابهة بين المأمون والمعتصم، والواثق، والذين اتبعوهم من جهة، وعلماء السنة من جهةٍ أخرى، فتضامنت العامة مع أهل السنة، ووقفوا بوجه السلطة[8].

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء، /٤٣١.

(٢) المسعودي: التنبيه والإشراف /٣١١-٣١٢.

(٣) السيوطي: تاريخ الخلفاء / ٤٥٣.

(٤) المسعودي: مروج الذهب، المجلد الثاني / ٣٥٢.

(٥) علي الجندي وآخرون: أطوار الثقافة والفكر ١٦٧/٢.

(٦) المسعودي: مروج الذهب / المجلد الثاني / ٣٣٤.

(٧) السيوطي: تاريخ الخلفاء /٥٠٣ وأنظر علي الجندي وآخرون: أطوار الثقافة والفكر ١٦٨/٢-١٦٩.

(٨) ملكة أبيض: التربية والثقافة العربية الإسلامية /٢٠٦.

وعند مجيء المتوكل أوقف المحنة، ومنع الكلام فأبدى حبّه للسّنة ومناصرة أهلها، وهذا في سنة اربع وثلاثين ومائتين، فجلب المحدثين إلى مدينة سامراء وأكرمهم وبذل لهم الأموال(١).

أما الواثق فكانت له اهتماماته العلمية، فله مجالسٌ علمية في الفلسفة والطب، ومن الأطباء الذين حضروا مجلسه حنين بن اسحق(٢).

العلوم والعلماء ومواطن العلم في عصره:

تنوعت العلوم التي دُرِّست في العصر العباسي الأول، فمن العلوم التي دُرِّستْ في المسجد القرآن، والحديث والفقه.

وترجمت العلوم من مختلف اللغات من يونانية وفارسية،وهندية إلى اللغة العربية، وقد شجع الرشيد وابنه المأمون على ترجمتها.

وسيرة الرسول -صلى الله عليه وسلّم- وأخبار العرب وأشعارهم من العلوم التي اهتموا بها(٣). إضافة إلى هذه العلوم. انصبَّ الاهتمام في هذا العصر على العلوم العقلية، والفلسفة، والمنطق، والرياضيات، والطب والكيمياء(٤).

ومن أشهر علماء هذا العصر:

الليث بن سعد (ت ١٧٥هـ). مالك بن أنس (ت١٧٩هـ)، ابن السماك (ت١٨٣هـ)، سفيان بن عيينة (ت١٩٨هـ) ومحمد بن ادريس الشافعي (ت٢٠٤هـ) والواقدي (ت٢٠٧هـ). البويطي (ت٢٣١هـ) وأبو الحسن المدائني (ت٢٣٤هـ) والكرابيسي (ت٢٤٥هـ) وذو النون المصري (ت٢٤٥هـ). والزعفراني (ت٢٦٠هـ).

---

(١) المسعودي: مروج الذهب/المجلد الثاني/ ٤٦٩ وأنظر السيوطي/تاريخ الخلفاء/ ٥٥١.

(٢) المسعودي: مروج الذهب / المجلد الثاني / ٤٦٢-٤٦٨.

(٣) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٢/٣٤٥-٣٤٧.
وأنظر صالح العلي: تطور الحركة الفكرية /١٥٧.

(٤) محمد شفشق وآخرون: تاريخ التربية /١٨٥.

وظهر من المعتزلة والفلاسفة:

النظام (ت٢٢٣هـ) وأبو الهذيل العلاف البصري استاذ المأمون (ت٢٣٥هـ). وأحمد بن أبي دؤاد (ت.٢٤٠هـ)[١].

وذكر السيوطي علماء آخرين من أماكن متعددة في العالم الإسلامي وعلومهم التي صنفوها.

ففي سنة ثلاث وأربعين ومائة شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنف ابن جريج بمكة، ومالك الموطأ في المدينة، والاوزعي في بلاد الشام. وابن أبي عروبة. وحمّاد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، ومعمر باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، وصنف ابن اسحق في المغازي، وأبو حنيفة في الفقه والرأي، وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ، وأيّام الناس[٢].

اذن بلغت الحضارة الإسلامية في عصر الإمام قمة العطاء الثقافي في جميع فروع المعرفة والعلوم، ووصلت أعلى درجاتها من الرقي، مما جعلها حضارة متميزة، وذات طابعٍ خاص، فالتأليف شمل فروع المعرفة، والحركة الثقافية شملت الأمصار الإسلامية، مكة، المدينة، والشام، والكوفة، والبصرة، وقرطبة الأندلس، ومصر أيضاً.

وكانت بغداد عاصمة العلم والعلماء، وملتقى العلوم والأفكار فكما أخذت العلم من حضارات ومن مدن إسلامية، فإنّها قد أمدّت الأمة الإسلامية بالفقهاء والمحدثين، وغيرهم من المختصين في فروع المعرفة، فكونت لنا تراثاً نستقي منه علومنا الحاضرة.

عاش الإمام أحمد في ظلّ هذه الحياة الثقافية، فاستفاد من العلوم الإسلامية في مناطق العالم الإسلامي فقام برحلاته العلمية المتعددة، فجمع الحديث النبوي الشريف، وألّف المسند، المعروف باسمه.

---

(١) عبدالله التركي: أصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل /٢٣-٢٤.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء /٤١٦-٤١٧.

المبحث الثالث: مكانة الإمام أحمد بين علماء عصره:

نعت العلماء الإمام أحمد بأوصاف علمية تتلائم ومنزلته ومكانته، فقال عنه العلماء أحد أئمة الإسلام، والهداة الأعلام، وأحد الأربعة الذين تدور عليهم الفتاوي والأحكام في بيان الحلال والحرام[1]. وقال بعضهم إمام في الحديث وضروبه، إمام في الفقه ودقائقه، إمام في السنة ودقائقها، إمام في الورع وغوامضه، وإمام في الزهد وحقائقه[2]. وقال العجلي عن الإمام: «ثبت في الحديث، نزه النفس، فقيه في الحديث، متبع، يتبع الآثار، صاحب سنة خيّر[3].
وقال عنه ابن حجر: «أحد الأئمة، ثقة حافظ فقيه حجة»[4].

وهذه المكانة جعلت طلبة العلم يقبلون عليه، فهناك جَمّ غفير من الطلبة الذين أخذوا عنه العلم، فبلغ عدد طلابه الذين يحضرون دروسه خمسة الآف أو يزيدون على ذلك[5].

ظلتْ منزلة الإمام أحمد في ارتفاع نتيجة لغزارة علمه، وفقهه، وحفظه، وورعه مما شهد له علماء عصره بذلك.

أولاً: شهادة علماء عصره له بغزارة علمه وفقهه وحفظه:

ففي علمه بالحديث والفقه شهد له:-

١- عبد الرحمن بن مهدي العنبري (ت١٩٨هـ)[6] بقوله: «هذا أعلم الناس بحديث سفيان الثوري»[7].

---

(١) ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، ٥٦/١.

(٢) ابن العماد: شذرات الذهب، ٩٦/٢.

(٣) العجلي: تاريخ الثقات/٤٩.

(٤) ابن حجر: تقريب التهذيب/٨٤.

(٥) المناقب: ابن الجوزي، /٢١٠.

(٦) إمام ثقة، كثير الحديث، ومن أعلم الناس به. روى عن عكرمة بن عمّار، وأبي خلدة خالد بن دينار، ومهدي بن ميمون، وحرب بن شداد. أدرك جماعة من التابعين منهم جرير بن حازم، والمثنى بن سعيد، وصالح بن درهم. وكان يميل الى قول المدنيين في الفقه. أنظر ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٢٥٠/٦-٢٥٢، والعليمي: المنهج الأحمد ٥٨/١.

(٧) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٢٣٣/٧، وأنظر العراقي: طرح التثريب، ٣١/١.

٢- أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي (ت٢٢٤هـ)[١] يقول: «انتهى العلم إلى أربعة، أحمد بن حنبل هو أفقههم فيه»[٢].

٣- الفقيه أبو ثور (ت.٢٤٠هـ)[٣] شهد له بفقهه مقارناً إيّاه بسفيان الثوري فيقول: «أحمد بن حنبل أعلم وأفقه من الثوري»[٤].

٤- عبد الوهاب الورّاق (ت.٢٥٠هـ)[٥] يعتبر الإمام أعلم أهل زمانه، وينطبق عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلّم: «فردوه إلى عالمه»[٦] فيقول: «رددناه الى أحمد بن حنبل وكان أعلم أهل زمانه»[٧].

٥- أبو حاتم الرازي (ت٢٧٧هـ)[٨] كان يعتبر الإمام من الذين يميزون الغث من السمين فقال عنه: «كان أحمد بن حنبل بارع الفهم بمعرفة صحيح الحديث وسقيمه»[٩].

٦- ابراهيم الحربي (ت٢٨٥)[١٠] وهو من اقرانه وقد شهد له بالعلم يقول: «كأن

---

(١) «كان فاضلاً في دينه وعلمه، حسن الرواية، صحيح النقل، وله مصنفات في القرآن والفقه وغير ذلك». روى عن هشيم، وإسماعيل بن عياش، ويحيى القطان، وابن المبارك، ويزيد بن هارون وغيرهم. كان صاحب نحو وعربية، وطلب للحديث والفقه، وولي قضاء طرسوس. ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٨/٢٨٣-٢٨٥.

(٢) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ١/٢٩٣.

(٣) ابراهيم بن خالد البغدادي، كنيته أبو عبد الله، وأبو ثور لقب. روى عن ابن عيينة، ووكيع، والشافعي. روى عنه أبو داود، وابن ماجه، ومسلم. كان فقيه أهل بغداد ومفتيهم في عصره، وأحد أعيان المحدثين المتقنين بها. له مصنفات عديدة، ثقة مأمون، أحد أئمة الدنيا. أنظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ١/١٠٢-١٠٣.

(٤) أبو يعلى: طبقات الحنابلة، ١/٧.

(٥) عبد الوهاب بن الحكم أبو الحسن البغدادي. «ثقة، رجل صالحٌ، ورع، زاهد، ليس يعرف مثله». روى عن حجاج بن محمد، وعبد المجيد بن أبي رواد، وشعيب بن صالح، ويحيى بن سعيد الأموي، ويزيد بن هارون. روى عنه ابنه الحسن، وأبو داود السجستاني، وابنه عبد الله وغيرهم. ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٦/٢٩٦-٢٩٧، والعليمي: المنهج الأحمد، ١/١٢٤.

(٦) الإمام أحمد: المسند، ٢/١٨١.

(٧) البغدادي: تاريخ بغداد، ٤/٤١٩ وأنظر الذهبي: سير الأعلام: ١١/١٩٩.

(٨) محمد بن إدريس بن المنذر الحافظ الكبير أحد الأئمة. إمام في الحديث، روى عن الإمام أحمد مسائل، وهو أحد الأئمة الحفاظ، مشهوراً بالعلم مذكوراً بالفضل. روى عن محمد بن عبد الله الانصاري، وعثمان بن الهيثم، وعفان بن مسلم، وعبد الله بن صالح العجلي وغيرهم. روى عنه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه في التفسير. أنظر ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٩/٢٨-٢٩.

(٩) النووي: تهذيب الأسماء واللغات ١/١١١.

(١٠) ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم بن بشير. «إمام في العلم، حافظ للحديث، ومميزاً علله، عارفاً بالفقه، وله مصنفات كثيرة». سمع الإمام أحمد بن حنبل، وأبا نعيم الفضل بن دكين، وعفان بن مسلم وغيرهم. روى عنه أبو بكر بن أبي داود، وأبو بكر الأنباري، وأبو بكر بن النجاد. كان رأساً في الزهد، بصير بالأحكام. البغدادي: تاريخ بغداد ٦/٢٨، والعليمي: المنهج الأحمد، ١/١٩٦-١٩٧.

اللّه قد جمع له علم الأولين والآخرين من كلِّ صنف يقول ما شاء ويمسك ما شاء»[1].

وقد شهد الإمام لنفسه بالحفظ بقوله: «حفظتُ كل شيء سمعته من هشيم وهشيم حيّ»[2].

وقد شهد له بحفظه نخبة من العلماء منهم:

١- عبد الرزاق الصنعاني وهو شيخ للإمام أحمد (ت٢١١هـ)[3] فيصفه بأنه أكثر حفظاً للحديث، واكثر معرفة به وبرجاله[4].

٢- علي بن المديني (ت ٢٣٤هـ)[5] وهو من أقرانه، وشهادة الأقران من أقوى الشهادات لحصول المنافسة، فيقول عنه: «ليس في أصحابنا أحفظ من أحمد بن حنبل»[6].

٣- أبو زرعة الرازي (ت٢٦٤هـ)[7] يقول عن الإما م أحمد: «كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث»[8] لم يكن على ظهر كتبه، حدثنا فلان لأنه كان يحفظ ذلك[9].

وقد عدّه علماء عصره إمامهم، والإمامة لا تطلق إلا على عالم يحمل صفات تؤهله لها.

---

(١) أبو يعلى: طبقات الحنابلة، ٦/١ وأنظر ابن الجوزي: صفة الصفوة، ٣٣٧/٢.

(٢) أبو نعيم: الحلية ١٦٤/٩.

(٣) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري. «ثقة، عالم، حافظ». روى عن أبيه، وعمه وهب، وعبيد الله بن عمر العمري، وأخيه عبد الله بن عمر العمري. روى عنه معتمر بن سليمان، واسحاق بن منصور الكوسج، وأحمد بن يوسف السلمي وغيرهم. ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٢٧٨/٦-٢٧٩.

(٤) ابن السعدي: الجوهر المحصل /٢٨.

(٥) علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي البصري. «علَمٌ في معرفة الحديث والعلل، وله مصنفات عديدة في الحديث، ثقة، مأمون أحد الأئمة في الحديث». روى عن أبيه، وحماد بن زيد، وابن عيينة، وابن علية، ويحيى بن سعيد القطان. روى عنه: البخاري، وسفيان بن عيينة، وأحمد بن حنبل، وغيرهم. ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣٠٦/٧-٣١٢.

(٦) النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ١١١/١.

(٧) عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد فروخ المخزومي مولى عياش بن مطرف أحد الأئمة الحفاظ. «حافظ، صادق، أحد الأئمة في الحديث مع الدين والورع». روى عن أبي عاصم، وعبد الله بن صالح العجلي، والحكم بن موسى وغيرهم. روى عنه مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه وغيرهم. إبن حجر: تهذيب التهذيب ٢٨/٧-٣٠.

(٨) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ٣٣٧/٢ والمزي: تهذيب الكمال، ٤٥٧/١-٤٥٨.

(٩) إبن الجوزي: صفة الصفوة، ٣٣٧/٢ وأنظر الذهبي: سير الأعلام، ١٨٨/١١.

ومن العلماء الذين شهدوا له بالإمامة:-

١- يحي بن أدم (ت٢٠٣هـ)[١] يقول: «أحمد بن حنبل إمامنا»[٢].

٢- الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ)[٣] فقد عدّه إماماً في كلِّ شيءٍ في الحديث والفقه والقرآن وغير ذلك[٤].

٣- أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) يشهد له بالإمامة[٥].

٤- وعلي بن المديني (ت٢٣٤هـ) يشهدُ له بالإمامة[٦].

وقد أثنى عليه علماء عصره بخصال منها الفقه والتقوى والورع، أول هذه الشهادات من:-

١- الإمام الشافعي فيقول: «خرجت من بغداد، وما خلفت بها أحداً أتقى ولا أورع ولا أفقه من أحمد بن حنبل»[٧].

٢- ويحي بن معين (ت٢٣٣هـ)[٨] فيقول عنه «كان محدّثاً، وكان حافظاً، وكان عالماً، وكان ورعاً، وكان زاهداً، وكان عاقلاً»[٩] وغيرهم من العلماء[١٠].

---

(١) يحيى بن آدم بن سليمان الأموي أبو زكريا الكوفي. كثير الحديث، ثقة، جامع للعلم، ثبت في الحديث، صدوق، حجة. روى عن زهير بن معاوية، وعيسى بن طهمان، وجرير بن حازم، والحسن بن حي. روى عنه علي بن المديني، ويحيى بن معين، والحسن بن علي الخلال وغيرهم. ابن حجر: تهذيب التهذيب، ١١/١٥٤-١٥٥.

(٢) العليمي: المنهج الأحمد ١/٦٢.

(٣) محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان أبو عبد الله الشافعي المكي نزيل مصر. «فقيه، ثقة، مأمون، صدوق، حجة في كل شيء». أحد الأئمة المجتهدين الأعلام، إمام أهل السنة، كان على علم بكتاب الله وسنة رسوله، وآثار الصحابة وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة. روى عن مسلم بن خالد، ومالك بن أنس، وابراهيم بن سعد، وابن علية، وابن عيينة. روى عنه أبو ثور إبراهيم بن خالد، وأحمد بن حنبل، والربيع بن سليمان المرادي. ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/٢٣-٢٧، والعليمي: المنهج الأحمد، ١/٦٣-٦٥.

(٤) أبو يعلى: طبقات الحنابلة ١/٥ وانظر ابن السعدي: الجوهر المحصل /٣١.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام /١٣.

(٦) ابن أبي حاتم: المجروحين ١/٥٦.

(٧) البغدادي: تاريخ بغداد ٤/٤١٩ وأنظر أبا يعلى: طبقات الحنابلة ١/١٨.

(٨) يحيى بن معين بن عوف بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن البغدادي الحافظ المشهور. «عالم، حافظ، ثبت، متقن، وهو صاحب الجرح والتعديل». سمع الإمام أحمد بن حنبل، وعبد الله بن المبارك، وسفيان بن عيينة. روى عنه زهير بن حرب، والبخاري، وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهم. أنظر العليمي: المنهج الأحمد ١/٩٣-٩٤.

(٩) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٧/٢٤٢-٢٤٣.

(١٠) انظر ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٧/٢٤٣-٢٤٥ والعراقي: طرح التثريب ١/٣١.

ثانياً: المكانة العلمية لشيوخ الإمام أحمد:

تلقى الإمام أحمد العلم على كبار علماء عصره، فقد ذكر ابن الجوزي جمهرة من العلماء الذين روى عنهم الإمام أحمد[1] ولكن بعضاً من هؤلاء قد أثر في شخصية الإمام نتيجة الملازمة لهم، وأخذه الحديث عنهم، فأثر ذلك في تكوين شخصية الإمام العلمية، مما جعل له إسهاماً كبيراً في تاريخ الفكر التربوي الإسلامي، فمن الشيوخ الذين أخذوا العلم عنه، ويتمتعون بمكانة علمية عالية:-

١- هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي أبو معاوية بن أبي خازم الواسطي (ت ١٨٣هـ). قيل أنه بخاري الأصل. كان ثقة، كثير الحديث، ثبتاً. روى عن أبيه، وعمرو بن دينار، ويحيى بن سعيد الأنصاري وغيرهم. روى عنه مالك بن أنس، ويزيد بن هارون، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل وغيرهم[2].

٢- وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي أبو سفيان الكوفي الحافظ (ت ١٩٦هـ). قال الإمام أحمد عنه: «ما رأيت أحداً أوعى للعلم منه»، وقال العجلي: «كوفي ثقة، عابد، صالح، أديب من حفّاظ الحديث وكان يفتي». روى عن أبيه، وإسماعيل بن أبي خالد، وعكرمة بن عمار، روى عنه عبد الرحمن بن مهدي، ومحمد بن رافع، ومحمد بن سلام وغيرهم[3].

٣- وعبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨هـ)[4].

٤- يحيى بن سعيد بن فروخ القطّان التميمي أبو سعيد البصري الأحول الحافظ (ت ١٩٨هـ) ثقة مأمون، حجة، من سادات زمانه في الورع، والحفظ، والعلم، وقد بحث في الثقات وترك الضعفاء. روى عن إسماعيل بن أبي خالد، وعكرمة بن عمار، وجعفر بن ميمون وغيرهم. روى عنه علي بن المديني، وبشر بن الحكم، وعبد الله بن عمر القواريري وغيرهم. إمام أهل زمانه، قال عنه الإمام أحمد: «ما كان أضبطه وأشد فقهه»[5].

---

(١) ابن الجوزي: المناقب، ٣٣-٥٤.

(٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ١١/٥٣-٥٤.

(٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب ١١/١٠٩-١١٤.

(٤) سبق ترجمته.

(٥) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ١١/١٩٠-١٩٣، والعليمي: المنهج الأحمد، ١/٥٧.

٥- الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ)[1].

٦- يزيد بن هارون بن وادي ويقال زاذان بن ثابت السلمي أبو خالد الواسطي (ت ٢٠٦هـ). أحد الأعلام الحفاظ قيل أصله من بخارى. من الثقات إمام صدوق، لا يُسأل عن مثله، وقال الإمام أحمد عنه: «كان حافظاً للحديث، صحيح الحديث». روى عن سليمان التميمي، وحميد الطويل، واسماعيل بن ابي خالد، ويحيى بن سعيد الأنصاري. وروى عنه أحمد بن حنبل، واسحاق بن راهوية، ويحيى بن معين وغيرهم[2].

٧- عبد الرزاق بن همّام الصنعاني (ت ٢١١هـ)[3].

٨- سليمان بن حَرب بن بجيل الازدي الواشحي أبو أيوب الأنصاري (ت ٢٢٤هـ). سكن مكة وكان قاضيها. إمام من الأئمة، ثقة، مأمون، حافظ للحديث، يتكلم في الرجال وفي الفقه. روى عن وهيب بن خالد، وحوشب بن عقيل، وجرير بن حازم. وري عنه البخاري، وأبو داود وغيرهم[4].

ثالثاً: المكانة العلمية لتلاميذ الإمام أحمد:

إن شخصية الإمام أحمد العلمية أثرت في تلاميذه، فانجبت لنا نخبةً من العلماء المشهورين، لانعكاس فكره عليهم، فقد أنعم اللهُ عليهم بعالمٍ غزير العلم، جاداً به، حافظاً له، عاملاً به، فهو خير شيخ لخير تلاميذ.

ومن تلاميذه الذين يتمتعون بمكانة علمية مرموقة:-

١- مُهنا بن يحي الشامي (ت ٢٤٩هـ)، وهو من كبار أصحاب أبي عبدالله ولزمه ثلاثاً وأربعين سنة، ثقة نبيل. حدث عن الإمام أحمد بن حنبل، وبقية بن الوليد، وضمرة بن ربيعة وغيرهم. روى عنه حمدان الوراق، وعبد الله بن أحمد، وسهل التستري[5].

٢- عبد الوهاب بن الحكم الوراق البغدادي (ت ٢٥٠)[6].

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ١١/٣٢١-٣٢٢.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٤/١٥٧-١٥٨.

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٣/٢٦٧-٢٦٨، والعليمي: المنهج الأحمد، ١/٣٣١.

(٦) سبق ترجمته.

٣- اسحق بن منصور التميمي أبو يعقوب الكوسج المروزي نزيل نيسابور (ت ٢٥١هـ). ثقة، مأمون، أحد الأئمة من أصحاب الحديث، من الزهاد والمتمسكين بالسنة، فقيه وعالم. روى عن ابن عيينة، وجعفر بن عون، وبشر بن عمر. وتلمذ لأحمد بن حنبل، واسحاق بن راهوية، ويحيى بن معين وله عنه مسائل[1].

٤- الإمام محمد بن إسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة وقيل ابن الاحنف الجعفي أبو عبد الله البخاري (ت ٢٥٦هـ). رحل في طلب الحديث، حسن الحفظ، عالم بالحديث، وله كتاب الجامع الصحيح، وقيل عنه بأنّه أعلم من دخل العراق. روى عن عبيد الله بن موسى، ،محمد بن عبد الله الانصاري، ومكي بن ابراهيم، وأبي المغيرة وغيرهم. حدّث عنه ابراهيم الحربي، وعبد الله بن ناجية وغيرهما[2].

٥- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسين النيسابوري الحافظ (ت ٢٦١هـ). ثقة من الحفّاظ، له معرفة بالحديث، صدوق. روى عن الهيثم بن خارجة، وسعيد بن منصور، ويحيى بن يحيى النيسابوري وغيرهم. روى عنه الترمذي، ويحيى بن صاعد، ومحمد بن مخلد. له من المصنفات غير الجامع كتاب الانتفاع بجلود السباع، والطبقات مختصر، والكنى، ومسند حديث مالك[3].

٦- حنبل بن اسحق، أبو علي (ت ٢٧٣هـ)[4].

٧- سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر أبو داود السجستاني (ت٢٧٥هـ). ثقة، أحد حفّاظ الإسلام للحديث وعلله وسنده، ورع، وله مصنفات. روى عن مسلم بن ابراهيم، وأبي عمر الحوضي، وسليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، وسعيد بن سليمان الواسطي وغيرهم. روى عنه أبو عمرو أحمد بن علي بن الحسن البصري، وأبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي، وأبو بكر محمد بن عبد الرزاق بن داسة وغيرهم[5].

٨- عبدالله بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الرحمن (ت ٢٩٠هـ). ثقة، ثبت، وسمع من أبيه المسند وغيره من المصنفات. حدّث عن أبيه،

---

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٢١٨/١-٢١٩.

(٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٤١/٩-٤٦، والعليمي: المنهج الأحمد، ١٣٣/١.

(٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ١١٣/١٠-١١٤، والعليمي: المنهج الأحمد، ١٤٧/١.

(٤) سبق ترجمتهُ.

(٥) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ١٤٩/٤-١٥٢.

وكامل بن طلحة، ويحيى بن معين وغيرهم. روى عنه أبو القاسم البغوي، وعبد الله بن اسحق المدائني، ويحيى بن صاعد وغيرهم[1].

رابعاً: الأخذ بفقهه قولاً وعملاً:

لنزاهة الإمام أحمد في الفقه، وحرصه على اتباع السُّنة، ولإخلاصه في العلم، وحبِّه له، وغزارة علمه، ولمكانته العلمية بين علماء عصره، اتجه علماءُ عصره للأخذ عنه قولاً وفعلاً.

فأبو ثور يزيد بن خالد عندما سئل عن مسألة انطلق في الإجابة عنها من قول الإمام أحمد[2] وسأله يزيد بن هارون:يا أبا عبدالله ما تقول في العارية؟. قال: « مؤداة » فقال له يزيد: سألت أبا حجاج عن الحكم قال ليست بمضمونه. فقال له أحمد حنبل: قد أستعار النبي -صلى الله عليه وسلم- من صفوان بن أميّة أدرعاً. فقال له عارية مؤداة فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- « العارية مؤادة »[3] فسكت يزيد وصار إلى قول الإمام أحمد[4].

أما عملاً فقد حضر العلماء عند ابراهيم بن الليث ونودي بصلاة الظهر، قال ابن المديني: « نخرج إلى المسجد أو نصلي ههنا؟ قال الإمام أحمد : « نحن جماعة نصلي ههنا، فصلوا »[5].

---

(١) البغدادي: تاريخ بغداد ٩/٢٧٥، والعليمي: المنهج الأحمد، ١/٢٠٦.

(٢) البغدادي: تاريخ بغداد ٤/٤١٧.

(٣) الترمذي: السنن، ٢/٣٦٨. أبواب البيوع، باب ما جاء في أن العارية مؤداة، حديث أبي أمامه حديث حسن. قال الالباني (صحيح)، الالباني: صحيح سنن الترمذي، ٢/٢٠.

(٤) أبو نعيم الحلية /٩/١٦٣ وأنظر ابن السعدي: الجوهر المحصل/٢٧.

(٥) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ١/٢٩٨-٢٩٩.

الفصل الثاني

تطور الفكر التربوي حتى عصر الإمام أحمد بن حنبل ومساهمته في تطويره

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول : الفكر التربوي حتى عصر الإمام.

المبحث الثاني: الفكر التربوي في عصر الإمام والسمات المميزة له.

المبحث الثالث: مساهمة الإمام في تنشيط وتطوير الفكر التربوي.

المبحث الأول: الفكر التربوي حتى عصر الإمام

الفكر التربوي في عصر السيرة:

اهتم الإسلام بتعليم الإنسان منذ بداية الدعوة، فأول آية أنزلت على الرسول -صلى الله عليه وسلم- تحث على القراءة، وهي وسيلة من وسائل التعلم، قال تعالى: «اقرأ باسم ربك الذي خلق»[1] وبينت الآيات القرآنية مكانة العلماء وفضلهم، فقال تعالى: «يرفع اللهُ الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»[2] وقد حثت الأحاديث على طلب العلم، فقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ سلَكَ طَريقاً يَطْلبُ به علماً سَهّلَ اللّه له طريقاً إلى الجنة»[3] وركّزَ الرسول صلى اللّه عليه وسلم على العلم النافع وتعوذ من غيره فقال: «اللهّم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع»[4].

وقد امتزجت معاني الوحي الإلهي في شخصه صلى اللّه عليه وسلم ليعطي لنا صورة حيّة، فعندما سُئلت عائشة رضي اللّه عنها عن خلقهِ، قالت: «فإن خلق نبيّ اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- كان القرآنَ»[5].

العهد المكي:

كان الصحابة رضوان اللّه عليهم يتشوقون سماع الآيات القرآنية وهي تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وتعلّم أمور عقيدتهم ودينهم.

وهذا الوحي الإلهي لا بد له من كتّاب فكان الصحابة يكتبون ما ينزل على رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- من الوحي[6] ومن كتّاب الوحي معاوية بن أبي سفيان وزيد بن ثابت[7]. وفي بداية الدعوة كان النبي صلى عليه وسلم يُعلِّمُ

---

(١) سورة العلق آية ١.

(٢) سورة المجادلة آية ١١.

(٣) البخاري: صحيح البخاري، ١/٢٤ كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل.

(٤) مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٧/٤١، كتاب الذكر والدعاء والإستغفار، باب في الأدعية. وانظر ابن ماجة: السنن، ١/٩٢، المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به. والالباني: صحيح سنن ابن ماجه، ١/٤٧.

(٥) مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي ٦/٢٦، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض.

(٦) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، المجلد الثاني /٨٠.

(٧) المسعودي: مروج الذهب. المجلد الثاني /٣٢ وأنظر الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي، ٢/١٣٣.

أصحابه مبادئ الدين الجديد في بيته، بالإضافة إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم[1].

وكانت أهداف التعليم في هذه المرحلة تتركز على تثبيت العقيدة الإسلامية في النفوس. وهدف الرسول صلى الله وسلم إلى نشر هذا الدين عن طريق البعثات التعليمية، فأرسل معلماً إلى المدينة المنورة قبل الهجرة بعامين، ليعلم أهلها القرآن الكريم، وشعائر الدين الجديد[2].

في العهد المدني:

كانت الهجرة النبوية تمثل مرحلة انتقال من إطار الجماعة إلى إطار المجتمع الواسع والدولة الإسلامية الناشئة، ومن هنا كانت النقلة الكبيرة في طبيعة الفكر التربوي وفق النظام الفكري الجديد.

إنّ أول عملٍ قام به الرسول -صلى الله عليه وسلم- في المدينة المنورة بناء مسجد قباء[3] ثم تلاه المسجد النبوي الذي استمر دوره التعليمي إلى يومنا هذا حيث ما زالت الحلقات العلمية تتوالى في أفنيته.

و في الجانب الشمالي من المسجد كان هناك مكان لأهل الصُفة، وهو مأوى الفقراء الذين ينشدون العلم والعبادة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يشجعهم على العلم والعبادة بقوله «افلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ أيتين من كتاب الله عزَّ وجلَّ خيرٌ له من ناقتين، وثلاث، خيرُ له من ثلاث، وأربع، خير له من أربع ومنٍ أعدادهن من الإبل»[4].

وكانت هناك «دار القرّاء» التي نزلها عبد الله بن أم مكتوم ومصعب بن عمير عند نزولهم في المدينة المنورة بعد معركة بدر »[5].

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية ١/٢٠٣ الحاشية.

(٢) ملكة ابيض: تاريخ التربية /٧.

(٣) ابن كثير: السيرة النبوية، ٢/٢٥٠ و ٢٩٣.

(٤) مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي ٦/٨٩ كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه.

(٥) منير الدين أحمد: دور المجالس والحلقات في النظام التربوي الإسلامي/ التربية العربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات، ١/٢٨٦. نقلة عن المقريزي: المواعظ والإعتبار ٦/١٩٢ والسيوطي: حسن المحاضرة ٢/١٤٢.

ووجدت مكتبات خاصة مثل مكتبة أبي هريرة التي احتوت على مجموعة كبيرة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم[1].

لقد ظلّ القرآن الكريم محوراً أساسياً لمناهج التعليم في العهد المدني وذلك يظهر من أشارة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى تعلمه وتعليمه، فقال: «خياركم من تعلم القرآن وعلّمه»[2] وعندما دخل المسلمون المدينة المنورة شرع مصعب بن عمير وابن أمٍّ مكتوم يعلمان الناس القرآن الكريم[3].

وظهر إهتمام الرسول -صلى الله عليه وسلم-. بتعليم الكتابة في حادثة أسرى بدر عندما افتدى كُلّ أسير مقابل تعليم عشراً من المسلمين الكتابة والقراءة[4].

وتلبية لحاجات المجتمع ومتطلباته المستجدة، كان الهدف التعليمي الإهتمام بالمتطلبات التشريعية إضافة إلى تثبيت العقيدة التي أخذت كلَّ الإهتمام في العهد المكي. وقد ظهر ذلك من خلال توضيحة -صلى الله عليه وسلم-وتطبيقه له بقوله: «العلمِ ثلاثة ومَا سوى ذلك فَهوَ فضل: أية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة»[5] وقد طبق ذلك عملياً فعند جلوسه في المسجد، كان يعلم القرآن الكريم، وفرائض الإسلام وشرائعه[6].

واهتم صلى الله عليه وسلم بالتربية البدنية فقد حثّ على ذلك بقوله: «علمّوا أبناءكم السباحة والرماية»[7].

---

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١/٨٩.

(٢) ابن ماجه: السنن، ١/٧٧ المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه. قال الألباني (حسن صحيح).الألباني، صحيح سنن ابن ماجه ١/٤٢.

(٣) ابن سعد: الطبقات ١/٢٣٤.

(٤) ابن سعد: الطبقات: ٢/٢٢.

(٥) أبو داود: السنن ٣/١١٩ كتاب الفرائض باب ماجاء في تعليم الفرائض. قال المناوي: (صحيح)، المناوي: فيض القدير، ٤/٣٨٦.

(٦) ابن سعد: الطبقات ٥/٥٢٤.

(٧) المناوي: فيض القدير. ٤/٣٢٧. وقال عنه (صحيح).

وقد فسح المجال للصحابة لتعلم اللغات الأجنبية، وأمر بعضاً منهم بتعلمها، من ذلك أمره لزيد بن ثابت بتعلم السريانية واليهودية[1].

وتلبية لدعوة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في التعلم بقوله: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع»[2] تلبية لذلك؛ رحل زيد بن وهب إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتوفي وهو في الطريق[3].

ومن أجل نشر التعليم قام النبي -صلى الله عليه وسلم- بإيفاد بعض الصحابة إلى المدن والأمصار. فقد بعث معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن ليعلما أهلها القرآن الكريم كما كان قد بعث مصعب بن عمير إلى المدينة[4].

وكانت طرقُ التعليم السائدة، القراءة والإملاء، فالرسول -صلى الله عليه وسلم- عندما يقرأ القرآن على صحابته، فيكتب زيد بن ثابت الوحي، والرسول بدوره يملي عليه، وبعد فراغه من الكتابة يقرأ زيد ما كتب[5].

ومن أهم أساليب التعلّم السؤال والحوار والأمثلة: فقد كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يسأل أصحابه في جلساته وأحاديثه، ومن ذلك سؤاله لهم عن الشجرة بقوله: «إنّ من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هيَ، فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبدالله بن عمر: ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يارسول الله. قال: هي النخلة»[6] والصحابة أيضاً يسألونه مستفسرين عن أمور دينهم، فقد سأله أحدهم في المسجد بقوله: «يا رسول الله، من أين تأمرنا أن نهل؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «يهل أهل المدينة من ذي الحليفة، ويهل أهل الشام من الجحفة»[7]

---

(١) الترمذي: السنن، ١٦٧/٤ أبواب الإستئذان والآداب، باب في تعليم السريانية، قال الألباني: (حسن صحيح) الألباني: صحيح سنن الترمذي، ٣٤٩/٢، انظر ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق ٤٤٧/٥.

(٢) الترمذي: سنن الترمذي: ١٣٧/٤. ابواب العلم، باب فضل طلب العلم، ثم قال: «هذا حديث حسن غريب» رواه بعضهم فلم يرفعه».

(٣) الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب الحديث /١٦٧.

(٤) ابن سعد: الطبقات ٣٨٨/٧ و ١١٨/٣ وأنظر واليعقوبي: تاريخ، المجلد الثاني/٧٠-٧٢. وأبا نعيم: الحلية ٢٥٦/١.

(٥) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي، ١٣٣/٢.

(٦) البخاري: صحيح البخاري، ٢١/١ كتاب العلم، باب قول المحدث حدثنا أو أخبرنا وأنبأنا.

(٧) البخاري: صحيح البخاري /٣٨/١ كتاب العلم، باب ذكر العلم والفتيا في المسجد.

واهتم الرسول -صلى الله عليه وسلم- بأسلوب الموعظة حفظاً لأصحابه من أنْ تنفر أنفسهم عن العلم، فيقول عبدالله بن مسعود: «كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا»[1]. كما يعتبر الحفظ من الطرق التعليمية المنتشرة، فالصحابة يسمعون الأحاديث النبوية الشريفة من الرسول -صلى الله عليه وسلم- ثم يحفظونها منه[2].

ومن ملامح الفكر التربوي في هذا العصر تعليم المرأة المسلمة، فقد حثَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- على تعلمها بقوله: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[3]، ولفظة مسلم تشمل الرجال والنساء على السواء، ورغب عليه الصلاة والسلام بتأديبها بقوله: «ثلاثة لهم أجران . . .ورَجُل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلَّمها فأحَسَنَ تعليمها»[4].

ولم يمنع الحياء المرأة من التعلم، فقد أثنت عائشة رضي الله عنها على نساء الأنصار بقولها: «نعم النساء نساء الإنصار لم يمنعهن الحياءَ أن يتفقهن في الدين»[5].

فقد حرصت المرأة على التعلم عن الرسول غير متوانية، فحفظت الأحاديث النبوية، وقامت بروايتها، فعائشة -رضي الله عنها- زوجة الرسول صلى الله عليه وسلّم روت الحديث النبوي عنه[6]، وأسماء بنت يزيد روت أحاديث عن الرسول -صلى الله عليه و سلم[7].كذلك تعلمت القرآن من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندما كان يقرأ على أصحابه في خطبة الجمعة[8].

---

(١) البخاري: صحيح البخاري١/٢٤ كتاب العلم، باب ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا .

(٢) الخطيب البغدادي: تقييد العلم/٣٦-٣٨.

(٣) ابن ماجه: السنن: ١/٨١، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. قال الألباني: (صحيح). الألباني: صحيح سنن ابن ماجه، ١/٤٤.

(٤) البخاري: صحيح البخاري، ١/٢٩، كتاب العلم: باب تعليم الرجل أمته وأهله.

(٥) البخاري: صحيح البخاري: ١/٣٧ كتاب العلم، باب الحياء في العلم.

(٦) ابن السعد: الطبقات، ٨/٦٩.

(٧) ابن سعد: الطبقات . ٨/٣١٩

(٨) ابن سعد: الطبقات، ٨/٤٤٢.

الفكر التربوي في عصر الراشدين:

استمر الخلفاء الراشدون في سياستهم التعليمية، السياسية التي اختطها الرسول -صلى الله عليه وسلم- مع بعض التغيرات التي فرضتها طبيعة المجتمع.

اهتم الخلفاء الراشدون بالتعليم ففي خلافة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه قام زيدٌ بن ثابت بجمع القرآن الكريم، بناءاً على طلب أبي بكر، وكتبه في صحف وعرضه على سعد بن العاص[1].

أما الخليفة عمر بن الخطاب فقد اهتم بالتربية السلوكية، فعندما دخل عليه أحد أبنائه، وكان قد ترجّل وارتدى ثياباً حسنةً، ضربه عمر حتى بكى، فسألته حفصة: لم ضربته؟ قال عمر: «رأيتُه قد أعجبتْهُ نَفَسه فأحببتُ أن أصغّرها إليه»[2].

وقام عثمان بن عفان بجمع الناس على حرفٍ واحد في القراءة، وجَعلَ السور الطويلة مع الطويلة والقصيرة معاً، ووزع نسخاً منها إلى الأمصار الإسلامية[3].

أما الإمام علي فَلَه اهتماماته العلمية التي شارك فيها في مجال التعليم، فأوصى كميل في العلم بقوله: « العلم خير من المال، لأن المال تحرسه والعلم يحرسك، والمال تفنيه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق. والعلم حاكم والمال محكوم عليه . . . »[4].

ولعناية الخلفاء بالعلم قاموا بانشاء المؤسسات التعليمية في الأمصار التي فتحوها ففي خلافة عمر بن الخطاب بعث إلى أبي موسى الأشعري وهو على البصرة، وإلى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة، وغيرهم من الولاة ليتخذ كلّ منهم مسجداً للجماعة وللقبائل مساجد[5].

(١) ابن النديم: الفهرست /١٢٢ وأنظر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، المجلد الثاني /١٣٥.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء /٢٢٩.

(٣) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق، ٤٤٨/٥ وأنظر السيوطي: تاريخ الخلفاء، ٢٦٤.

(٤) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٦٨/١.

(٥) المقريزي: الخطط ٢٤٦/٢.

وسار الولاة على سياسة عمر، فبنى عمر بن العاص مسجداً في مدينة الفسطاط، ووقف عليه ثمانين من الصحابة[١].

وظهرت المكاتب نتيجة للفتوحات الإسلامية وكثرة أبناء المسلمين، فأمر عمر بإنشاء الكتاتيب ووضع عليها معلمين لتعليم الصبيان[٢].

بقي الهدف الاسلامي من التعليم إقامة حكم الله وهو الهدف الذي يسعى المسلمون لتحقيقه، فركزوا على القرآن الكريم، لقرب عهدهم من عهد السيرة النبوية، ومن الأمثلة على هذا الإهتمام بالقرآن ما قام به عبدالله بن مسعود بتعليم أهل الكوفة القرآن عندما بعثه عمر بن الخطاب[٣] ولشدة اهتمام عمر به طلب عدم الإشتغال بغيره[٤]. وظَلَّ هذا الإهتمام لدى عثمان بن عفان، فحثَّ على تعلم القرآن بقوله: «كلُّ من تعلَّم القرآن وعلمه فهو ممن اصطفاه اللّه من بني آدم»[٥]. أما تفسير القرآن فاهتموا به معتمدين على تفسيره صلى اللّه عليه وسلم[٦]، وقد برع أبو بكر بعلم الأنساب واهتم به لأهمية هذا العلم[٧].

وسرى الإهتمام بالتربية البدنية لصحابة الرسول صلى اللّه عليه وسلم، فطلب عمر بن الخطاب بكتابٍ بعثَ به إلى ساكني الأمصار بقوله: «أما بعد فعلّموا أولادكم العوم والفروسية ورووهم ما سار به من المثل وحَسن من الشعر»[٨]. وحصل توسعٌ في إطار الطرق التعليمية لكثرة الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين، فاتسع نطاق المناظرة للحاجة إليها في الوصول إلى الحق، فقد ناظر عثمان بن عفان. السعاة عليه والمطالبين بخلعه مرة بعد أخرى، وكذلك ناظر عليّ يهودياً[٩].

---

(١) السيوطي: حسن المحاضرة. ١٣٣/١.

(٢) ملكة أبيض: التربية والثقافة العربيّة الإسلامية في الشام والجزيرة /٢٢٦-٢٢٧.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٤٧/١.

(٤) ابن سعد: الطبقات ٧/٦.

(٥) ابن سحنون: آداب المعلمين /٨٢.

(٦) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي ١٩٣/٢.

(٧) السيوطي: تاريخ الخلفاء /٧٣.

(٨) الجاحظ: البيان والتبين ١٨٠/٢.

(٩) السكوني: عيون المناظرات ١٦٥-١٦٧.

ولتنمية الطاقات والملكات اهتم الصحابة بمذاكرة العلم خوفاً من نسيانه، فقال علي بن أبي طالب: «تزاوروا وتذاكروا الحديث فإنكم إن لم تفعلوا يدرس علمكم»[1].

أما تعليمُ المرأة فنال الإهتمام الكبير، فالخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه كان قد وضع للرجال وللنساء قارئ واحد، سليمان ابن أبي خثيمة[2].

ولبت المرأة الدعوة إلى التعليم وسعت لتعليم نفسها فاتجهت أولّ ما اتجهت لتتعلم القرآن الكريم[3]. ولأهمية دور المرأة في التعليم كان بعض الصحابة يتوجهون إلى بيت عائشة -رضي الله عنها- يسألونها فيما يشكل عليهم من الحديث والفرائض، ويجدون عندها علماً، لعلمها بهما[4].

استمرت البعثات التعليمية من أجل نشر هذا الدين ليقوموا بدورهم في هذا المجال، فأوفد عمر بن الخطاب عبدالله بن مسعود معلماً إلى الكوفة «ليقرئهم القرآن ويعلمهم الشرائع والأحكام»[5].

وبعث عمر أبا موسى الأشعري إلى البصرة لتعليم أهلها القرآن الكريم والسنة النبوية[6] وكذلك معاذ وعبادة وأبا الدرداء ليعلموا القرآن والفقه في بلاد الشام[7].

الفكر التربوي في العصر الأموي:

شجع معظم خلفاء بني أمية العلم، فمعاوية بن أبي سفيان اهتم بسماع أخبار الماضين وأمر بتدوينها.

---

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١/١٢١.

(٢) ابن سعد: الطبقات. ٥/٢٧.

(٣) ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/٧٢.

(٤) ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/٣٢.

(٥) ابن سعد: الطبقات /٦/٧ أنظر: خليفة خياط: الطبقات ١/٣٦ والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١/١٤٧.

(٦) أبو نعيم: الحلية: ١/٢٥٧

(٧) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق ٧/٢١٣.

واتجه عبد الملك بن مروان اتجاهاً أدبياً وعلمياً فأحب الشعر وتذوقه وقام بتعريب الدواوين، وتعريب كتب الكيمياء والعلوم(١).

وأحب عمر بن عبد العزيز العلم فاهتم بالمنهاج التربوي ليتخذ اتجاهاً آخر إضافة إلى ما كان عليه، فاهتم بالحديث النبوي الشريف، وأمر بتدوينه تدويناً رسمياً وكلف ابن شهاب الزهري بذلك(٢).

بنيت في هذا العصر عدة مؤسسات تعليمية ونشر العلم من خلالها، فشيدت المساجد ومن أشهرها: المسجد الجامع في القيروان الذي بناه عقبة بن نافع عند فتحه لافريقية، سنة (٥٠هـ)، وكذلك جامع دمشق الذي شيده الوليد بن عبد الملك سنة (٨٨هـ)(٣). وعَقدت فيه مجالس علمية(٤).

وتم بناء (جامع الزيتونة) في تونس، وقام ببنائه عبد الله بن الحبحاب سنة (١١٤هـ)، وقد تلقى المسلمون فيه دروساً في تفسير القرآن الكريم، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، والمعلمون فيه من كبار التابعين، ومن الذين تلقوا العلم على كبار الصحابة والمحدثين الأوائل(٥). وأنشئت الصالونات الأدبية، وكان الخلفاء يجلسون فيها للحديث في جوانب علمية متنوعة(٦) وكذلك البيمارستان وفيها معاهدُ لتدريس الطبِّ والصيدلة(٧). ونشأت في هذا العصر مدارس مذهبية وفكرية منها مدرسة الحديث ومدرسة أهل الرأي(٨).

ظلَّ القرآن الكريم والحديث الشريف، الإطار الرئيسي للمنهاج التربوي في هذا العصر، ويظهر ذلك جلياً من خلال وصايا الآباء لمؤدبي أولادهم. أوصى

---

(١) الجاحظ: كتاب الحيوان، ٥//١٩٤. وانظر يوسف العش: الدولة الأموية /٢٣١.

(٢) البغدادي: تقييد العلم /١٠٦ وابن عبد البر: جامع بيان العلم ١/٩١-٩٢.

(٣) عمر الشيباني: تطور التعليم العالي في ظل الحضارة الإسلامية /٨٠-٨١.

(٤) ملكة أبيض: مؤسسات التربية العربية في الشام حتى أواسط القرن الرابع الهجري. التربية العربية الإسلامية، المؤسسات والممارسات ١/١٢١.

(٥) محمد القطري: الجامعات الإسلامية. /٨٨-٩١.

(٦) عبد الله الدائم: التربية عبر التاريخ ١٤٩-١٥٠.

(٧) عبد الله الدائم: التربية عبر التاريخ /١٦٢.

(٨) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ٢/٣٣١.

عتبة بن أبي سفيان مؤدب ولده عبد الصمد بقوله: «علمهم كتاب الله، ولا تملهم فيتركوا، ولا تدعهم منه فيهجروا، وروّهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعفه»[1]، وكذلك وصية هشام بن عبد الملك لمؤدب ولده[2].

واتجه الأمويون لتفسير القرآن الكريم عن طريق القصص، فمسلم بن جندب الهذلي، قص القرآن في المسجد النبوي في خلافة عمر بن عبد العزيز[3].

ثم اطّلع الأمويون على علوم الأمم الأخرى للإستفادة منها مع الحفاظ والحرص على سلامة العلوم الدينية من العبث والدس، وعلى اللغة العربية من فساد اللسان العربي. فقام العلماء بترجمة للعلوم ومنها كتب الكيمياء، وتعريب للدواوين[4].

إذن بقي القرآن الكريم والحديث الشريف إضافة للأدب ومنها الشعر وعلوم الأوائل، بقيت المناهج الرئيسية في هذا العصر.

واستمر الإهتمام بالتربية البدنية لدى الأمويين فأوصى الحجاج مؤدب بنيه بقوله: «علمهم السباحة قبل الكتابة فإنهم يجدون من يكتب عنهم ولا يجدون من يسبح عنهم»[5].

ومن الطرق التعليمية في هذا العصر، طريقة القراءة، فالناس كانوا يصلحون مصاحفهم على قراءة عطية بن قيس الكلابي قارئ الجند (ت ١٠٠هـ)[6].

واعتبرت طريقة المذاكرة، بل اصبحت من الطرق المحببة للعلماء، فقد جاءت جماعة إلى أمّ الدرداء فتحدثوا عندها. فقالوا لها: أمللناك يا أمّ الدرداء.

---

(١) ابن تغرى بردى الاتابكي: النجوم الزاهرة ١/١٢٣.

(٢) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق ٦/٢٧٩-٢٨٠.

(٣) عمر الشيباني: تطور التعليم العالي في ظل الحضارة الإسلامية /٦٦.

(٤) يوسف العش: الدولة الأموية /٢٣١.

(٥) ابن قتيبة: عيون الأخبار ٢/١٦٦.

(٦) ملكة أبيض: مؤسسات التربية العربية في الشام حتى أواسط القرن الرابع الهجري، التربية العربية الإسلامية ١/١٢٠.

فقالت: «ما أمللتموني، لقد طلبت العبادة في كل شيء، فما وجدت شيئاً أشفى لنفسي من مذاكرة العلم[1]» وراعى العلماء نفسية المتعلم، فاهتموا بطريقة التشويق خوف الملل، والتدرج خوف النسيان. فالزهري (ت ١١٤) كان يحدث ساعة ثم يترك طلابه يتحدثون بأحاديث أخرى خلال الدرس، وكذلك أوصى تلميذه يونس بأخذ العلم مع الليالي والأيام ولا يأخذه جملة[2].

أما المرأة فأخذت حظاً وافراً من التعليم، فتعلمت في الكتّاب[3] فتعلمت الكتابة أمثال رملة بنت معاوية التي كتبت إلى أبيها تشكو آل أبي عاص[4].

بالأضافة إلى الكتابة تعلمت القرآن الكريم فقد قرأت حفصة بنت سيرين (ت ١٠١هـ) القرآن وعمرها اثنتا عشرة سنة[5]. وساهمت المرأة في إعطاء دروس للنساء، فعلمّت مولاة أبي أمامة النساء القرآن والسنّة والفرائض والفقه في مسجد حمص[6].

كما نشطت في المشاركة في مجالسة العلماء ومذاكرتهم من أمثال أم الدرداء[7].

وقد زاد نشاط الرحلات العلمية والتبادل الثقافي في هذا العصر، فرحل عبد الله بن زيد أبو قلابة (ت ١٠٤هـ) في حديثٍ بلغه عن رجُل من أهل المدينة. ولم يكتف العلماء بالرحلة إلى بلدٍ واحدٍ، بل تتعددت المناطق التي رحلوا إليها، فرحل مكحول بن كسرى (ت ١١٣هـ) في طلب العلم إلى العراق والمدينة والشام[8].

---

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١/١٢٣، وأنظر ابن عساكر: تراجم النساء/٤٢٧.

(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم ١/١٢٥.

(٣) الجاحظ: البيان والتبين/٢/٢٠٣.

(٤) ابن عساكر: تراجم النساء/٩٥.

(٥) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ١٢/٤٣٨.

(٦) أبو نعيم: الحلية، ١٠/١٢٩.

(٧) ابن عساكر: تراجم النساء/٤٢٧.

(٨) ملكة أبيض: التربية والثقافية العربية الإسلامية/٣٦٠-٣٦١.

وانتشر هذا العلم عن طريق البعثات التعليمية، فبعث عمر بن عبد العزيز يزيد بن عبد الرحمن (أبو مالك) (ت ١٣٠هـ) والحارث بن يمجد الأشعري إلى بني تميم ليفقهانهم في الدين، ويقرئان عليهم القرآن[1]. وكذلك بعث عمر عشرة من فقهاء التابعين إلى إفريقيا منهم عبد الرحمن بن رافع، وسعيد بن مسعود التُجيبي[2].

أهم سمات الفكر التربوي قبل عصر الإمام أحمد:

أولاً: كان الرسولُ -صلى الله عليه وسلم- هو المعلم الأول في مسيرة الأمة التربوية، فاستهلها بتعليم الصحابة القرآن الكريم، وبقي القرآن والسنة هما المنهاج الأساسي رغم اتصال الأمة بالعلوم الأجنبية عن طريق ترجمتها في عصر الأمويين.

ثانياً: الإهتمام بنشر مبادئ الدين الأسلامي. وتم ذلك عن طريق التبادل الثقافي والقيام بالرحلات العلمية مما أدى إلى تطوير الفكر التربوي.

ثالثاً: وجدت المؤسسة التربوية منذ قيام الدولة الإسلامية، فبنى -صلى الله عليه وسلم- المسجد، وتابعه الصحابة، والتابعون في تشييد المساجد، وإنشاء الكتاتيب.

رابعاً: تزايد الإهتمام بتعليم المرأة، فتعلمت الكتابة وقراءة القرآن، ثم نشطت وقامت بدور فعّال في نشر العلم.

خامساً: تنوع الأساليب التربوية المستخدمة في التعليم في هذه الفترة.

سادساً: الإهتمام بالجانب التطبيقي للفكر التربوي، فكان العلم مقترناً بالعمل، ولم يكن فصل بينهما، مما أثرى الحضارة الإسلامية.

---

(١) ملكة أبيض: التربية والثقافة العربية الإسلامية /٢٧٣.

(٢) ابن سحنون: آداب المعلمين /٣٥.

المبحث الثاني: الفكر التربوي في عصر الإمام والسمات المميزة له:

إنْ عصر الإمام أحمد هو عصر الإزدهار العلمي، نظراً لاحتكاك العرب بغيرهم، وامتزاج الثقافات الأجنبية الهندية والفارسية واليونانية في الثقافة العربية، وتشجيع الخلفاء العباسيون على العلم والتعلم. فقد وردت لنا أخبار عن الإهتمامات العلمية لبني العباس. فالخليفة المنصور اشتهر بطلب علم الحديث والأنساب، وله أقوال تربوية ومنها نصيحته لولده بقوله: «أيْ بني، أستدم النعمة بالشكر والمقدرة بالعفو، والطاعة بالتألف والنصر بالتواضع، والرحمة للناس»[1].

أما الرشيد فله مجالس علمية في المناظرات الشعرية والمناقشات الفقهية وغيرها[2] وقد شغِفَ ابنه المأمون بالعلم حتى أنه كان ينام والدفاتر حولَ فراشه[3] وكذلك كان الواثق يحمل علماً في مجالات شتى[4] أما المتوكل فقد اتجه اتجاهاً علمياً نحو المذهب السني، فاهتم بالمحدثين وأكرمهم، وكان يجزل لهم في العطاء[5].

وهذه الإهتمامات لم تنحصر في دائرة الخلفاء بل تجاوزتهم إلى العلماء أنفسهم فاعتبروا أن العلم أجل من السلطان[6].

في مثل هذه البيئة الثقافية ازدهرت الحركة الفكرية التربوية، فأنشئت المؤسسات التربوية، واتسعت دائرة الحلقات التعليمية، وطورت المناهج، فقام العلماء بالترجمة والتأليف في مختلف فروع العلم والمعرفة، ونشطت حركة التبادل الثقافي فقام العلماء برحلاتهم العلمية، وأرسلت الوفود التعليمية لنشر العلم بين الناس.

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء /٤٣١ و ٤٢٢.

(٢) محمود شفشق وآخرون: تاريخ التربية /١٩١.

(٣) الخطيب البغدادي: تقييد العلم /١٢٤.

(٤) السيوطي: تاريخ الخلفاء /٥٤٥.

(٥) السيوطي: تاريخ الخلفاء /٥٥١.

(٦) السيوطي: تاريخ الخلفاء /٤٣٩-٤٤٠.

أولاً: المؤسسات التعليمية:

استمر وجود الكتاتيب في العصر العباسي ومارست نشاطها التربوي بشكلٍ فاعل، فالشافعي وأحمد بن حنبل تلقوا تعليمهم الأولي في هذه الكتاتيب، بعدها ينتقل الطالب إلى الديوان ليمرن على التحرير والكتابة.

يقول الإمام الشافعي: «كنت يتيماً في حجر أمي فدفعتني في الكتّاب[1]، ويقول أيضاً «لم يكن لي مال فكنت أطلب العلم في الحداثة، أذهب إلى الديوان استوهب الظهور أكتب فيها[2]. والإمام أحمد تعلم في الكتاب والديوان[3].

بعدها ينتقل التلميذ إلى المسجد، فنمى نشاط الحركات التعليمية التي تعقد في المساجد في هذا العصر إضافة إلى تشييد بعض من المساجد التي مارست نشاطها التعليمي. يقول الإمام الشافعي: «فلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء»[4] فالمسجد يعتبر أعلى مرحلة في التعليم في هذا العصر، ومن المساجد التي كثرت الحلقات التعليمية في أفنيتها جامع دمشق وكان فيه حلقة لسعيد بن عبد العزيز التنوخي (ت ١٦٧هـ) وكان يدرس فيه الحديث والفقه[5]. وجلس عاصم بن علي (ت ٢٢١هـ) في مسجد الرصافة وألقى دروسه العلمية فيه[6].

وغصت بغداد بالحلقات التعليمية فهي حاضرة العالم الإسلامي، ومركز الخلافة فجامعها أصبح محط أنظار العلماء، فكان للإمام الشافعي حلقة تعليمية في المسجد الجامع فيها عند قدومه اليها سنة (١٩٥هـ) «وكان في الجامع إما نيف وأربعون حلقة أو خمسون حلقة، فلما دخل بغداد ما زال يقعد في حلقة حلقة ويقولُ لهم: «قال اللّه وقال الرسول، وهم يقولون: قال أصحابنا. حتى ما بقي في المسجد حلقة غيرهُ»[7].

---

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١/١١٧-١١٨.

(٢) البغدادي: تاريخ بغداد: ٢/٥٩.

(٣) ابن الجوزي: المناقب: ٢١.

(٤) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١/١١٧-١١٨.

(٥) ملكة أبيض: مؤسسات التربية العربية في الشام، حتى أواسط القرن الرابع الهجري، التربية العربية الإسلامية المؤسسات والممارسات ١/١٢٢.

(٦) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين /٥٥.

(٧) البغدادي: تاريخ بغداد ٢/٦٨-٦٩.

فهو يدعو إلى العودة للأصول الصحيحة القرآن والسنة، فأعجب الإمام أحمد بطريقته مما جعله يلازمه طيلة إقامته في بغداد[1].

وكذلك كان للإمام الشافعي زاوية تعليمية في جامع عمرو بن العاص في مدينة الفسطاط[2]، وازدادت الحلقات التعليمية في المسجد الحرام، وكان لعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت ١٥٠هـ) حلقة تعليمية فيه، وتلقى عليه العلم الأوزاعي، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وغيرهم[3].

ومن مظاهر تطور الحركة الفكرية التربوية انشاء بيت الحكمة لنسخ الكتب، وترجمة العديد منها في مختلف العلوم، وقد ازدهرت فيه الحركة العلمية في عهد المأمون بن الرشيد[4].

وساهمت المنتديات الأدبية في عهدي الرشيد والمأمون في هذه النهضة العلمية، فأصبحت ملتقى العلماء في مختلف التخصصات إضافة إلى نشاطها الواسع في المناظرات الفقهية والأدبية[5].

وظهرت حوانيت الوراقين في مطلع قيام الدولة العباسية، ولم يقتصر نشاطها على بيع الكتب، ولكنّها ساهمت في النهضة العلمية، فباعة هذه الحوانيت كان معظمهم من الأدباء ولهم اهتمامات تربوية[6]. ولمنازل العلماءِ دور في هذا النشاط التربوي الواسع فقد تردد العلماء على منزل الأعمش (ت ١٤٨هـ) لتلقى العلم عنه[7]. وظهرت المدارس الفكرية والمذهبية التي اعتمدت على الأصول مثل مذهب الإمام أبي حنيفة (ت ١٨٢هـ) ومالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) والشافعي (ت ٢٠٤) وأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)[8].

(١) ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية ٥٦/١.

(٢) السيوطي: حسن المحاضرة ١٣٣/١ وأنظر عبد الله الدائم: التربية عبر التاريخ /١٥٣.

(٣) أحمد أمين: ضحى الإسلام ٧٤/٢ وأنظر عبد الرحمن صالح: تاريخ التعليم في مكة المكرمة /٣٨-٣٩.

(٤) ابن النديم: الفهرست، ٤٧١ أنظر حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام ٣٤٨/٢.

(٥) عبد الله الدائم: التربية عبر التاريخ /١٥٠-١٥١.

(٦) أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية /٦٣.

(٧) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١١/٩.

(٨) الشيرازي: طبقات الفقهاء /٦٧-١٣٤.

ثانياً: المناهج التعليمية:

تطورت المناهج التعليمية تطوراً ملحوظاً في هذا العصر مع العناية بالعلوم الدينية أكثر من غيرها، والتركيز على القرآن الكريم والسنة الشريفة، ويبدو هذا الإهتمام بالقرآن والحديث من خلال الوصايا التربوية، فأوصى الخليفة الرشيد الأحمر (ت ١٩٤هـ) مؤدب ولده الأمين بتعليمه القرآن والحديث[١]، وتنسب للإمام الشافعي وصية بعث بها لمؤدب أولاد الرشيد يطلب فيها تعليمهم القرآن والحديث[٢]. فقام المؤدبون بتعليمهم القرآن. فعبيدة بن حميد الحّذاء، علم محمد بن الرشيد القرآن الكريم[٣].

ونضجت الدراسات الدينية في هذه الحقبة، فلم يعد الإهتمام بتفسير القرآن الكريم يقتصر على توضيح المعاني بل تجاوز إلى أمور أخرى، نظراً لإختلاف مشارب المفسرين، ومن الأمثلة على ذلك اهتمام بعض المفسرين بالجانب اللغوي مثل المفسر الراغب الأصفهاني في «مفردات القرآن» ومنهم من ركز على الجانب العقلي مثل كتاب «التفسير الكبير» للفخر الرازي. وتطور علم التفسير فأصبح يأخذ طابعاً منظماً مرتباً في ترتيب السور والآيات عند تفسيرها[٤]. أما علم الحديث فقد دون في العصر الأموي، وتوسع في هذا العصر، فاشتهر كثير من العلماء بتدوينه ومنهم الإمام أحمد بن حنبل الذي قام برحلاته المتعددة، وتابع مسيرته تلاميذه الإمام البخاري، والإمام مسلم أصحاب الصحاح[٥].

وقد ألفت عدد من المسانيد، مثل مسند الإمام أبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل وغيرها[٦].

وهذه النخبة من العلماء هم من فقهاء هذا العصر، وأصحاب المذاهب الفقهية الذين وضعوا لنا أصولها، وكانت لهم مؤلفاتهم في هذا المجال[٧]، وبقي

(١) المسعودي: مروج الذهب: المجلد الثاني /٣٢٤.

(٢) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين /٥٢.

(٣) محمد بن حبيب: المحبر، /٤٧٨.

(٤) عمر الشيباني: تطور التعليم العالي /١١١-١١٢.

(٥) أنظر: الفصل الأول من هذا البحث ترجمة مسلم والبخاري.

(٦) عمر الشيباني: تطور التعليم العالي /١١٧.

(٧) الشيرازي: طبقات الفقهاء /٦٧-١٣٤.

عصرنا يهتدي بها. وظهر علم التصوف، علم مستقل له قواعد وأصول ومبادىء واتجاهات ومناهج بعد أن كان الزهد سلوكاً بسيطاً كما هو عند الصحابة من أمثال أبي بكر وعمر، ومن هذا التصوف نشأ التصوف السني. وظهر مجموعة من العلماء أمثال الحارث المحاسبي (ت٢٤٣هـ)[١].

وزاد الاهتمام بالعلوم اللغوية للمحافظة على سلامتها من الثقافات الدخيلة، ومن علماء هذا العصر الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) صاحب معجم العين، والأصمعي (ت ٢١٦هـ)[٢]. أما حركة الترجمة فقد نشطت نشاطاً واسعاً في هذا العصر، فاهتم الخلفاء العباسيون بالترجمة، فقاموا بترجمة الفلسفة، والطب، والنجوم، والمنطق وغيرها[٣].

وظهرت العلوم البحتة مثل الرياضيات، وعلم الفلك، والعلوم الطبيعية والتجريبية مثل الكيمياء، وعلم الطبيعة، والحيوان والنبات وغيرها، والعلوم التطبيقية مثل الطب والصيدلة[٤].

وفي الأندلس سارت الحركة الثقافية في بعض جوانبها كما هي عند أهل المشرق، فكان الاهتمام بالعلوم الدينية أولاً، ثم العلوم الفلسفية والأدب شعراً ونثراً[٥].

ثالثاً: الطرق التعليمية السائدة في هذا العصر:

الحفظ والإملاء والقراءة هي طرق شاعت في هذا العصر. فصيانة للحديث النبوي قام العلماء بحفظه فأبو يوسف صاحب أبي حنيفة، كان يُحضر المحدث ويحفظ منه ما يقارب الستين حديثاً، بعد ذلك يقوم ليمليها على الناس[٦]. وتطورت طريقة الإملاء. لكثرة الطلاب واتّساع المجالس بحيث أصبح هناك

---

(١) عمر الشيباني: تطور التعليم العالي /١٢٤-١٢٥.

(٢) عمر الشيباني: تطور التعليم العالي /١٣٠-١٣١.

(٣) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ٣٤٧/٢.

(٤) عمر الشيباني: تطور التعليم العالي /١٩٠-٢١٧.

(٥) عبد البديع الخولي: الفكر التربوي في الأندلس /٤٢.

(٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣٧٩/٦.

مستمل مثل هارون المستملي[١]. والإمام الشافعي اشتهر بحفظه، فحفظ الموطأ ظاهراً وبعدها قرأه على الإمام مالك[٢].

واسترسل الناس في القاء الأسئلة داخل الحلقة التعليمية، فكتاب العالم والمتعلم لأبي حنيفة هو إجابات عن الأسئلة التي كان يطرحها تلاميذه عليه[٣]. ولتفتيق الأفكار أنصب الاهتمام على المناظرات فالمأمون اهتم بها، وكان يخصص لها وقتاً محدداً هو يوم الثلاثاء[٤]. ونمت هذه الطريقة نظراً لاعتناق الدولة مذهب الاعتزال القائم على الحجج العقلية.

وظهرت مناظرات فقهية كثيرة منها مناظرة الإمام أحمد بن حنبل في قضية خلق القرآن مع المأمون واسحق بن ابراهيم وغيرهم من علماء المعتزلة التي سوف نتحدث عنها ان شاء الله.

رابعاً: تعليم المرأة:

تلقت المرأة تعليمها عن طريق ندوات علمية تعقد للنساء فكان للإمام أحمد دروس خاصة يعقدها في المساء للنساء[٥].

وساهمت المرأة في نشر العلم من أمثال ريحانة زوجة الإمام أحمد التي روت عنه الحديث النبوي[٦].

خامساً: الرحلات العلمية:

نشطت حركة الرحلات العلمية. حتى أن بعض الخلفاء قاموا بهذه الرحلات لتلقى العلم، فالمنصور رحل قبل تولية الخلافة[٧] وكذلك الرشيد رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ على الإمام مالك[٨].

(١) البغدادي: تاريخ بغداد ٣٣/٩.
(٢) الرازي: آداب الشافعي ومناقبه /٢٧-٢٨.
(٣) ماجد عرسان الكيلاني: تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية /٩٨.
(٤) السيوطي: تاريخ الخلفاء /٥٢٠.
(٥) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين /٨١.
(٦) ابن الشطي: مختصر طبقات الحنابلة /٢٥.
(٧) السيوطي: تاريخ الخلفاء /٤١٩.
(٨) السيوطي: تاريخ الخلفاء /٤٦٨.

ومن العلماء الذين قاموا برحلات علمية الأوزاعي (ت ١٥٧هـ) فيقول: «خرجت الى الحسن وابن سيرين فوجدت الحسن قدمات، ووجدتُ محمد بن سيرين مريضاً، فدخلنا عليه نعوده، فمكث أياماً ثم مات»[1].

ولم يكتف العلماء بالرحلة الى منطقة واحدة بل تعددت المناطق التي رحلوا اليها فابن المبارك (ت ١٨١هـ) وهو من رواة العلم. رحل الى اليمن ومصر والشام والبصرة والكوفة[2].

سادساً: البعثات التعليمية:

استمر نشاط البعثات التعليمية في هذا العصر، وقد اصطحب بعض الولاة العلماء معهم إلى المناطق التي ولّوا عليها. فعندما جاء صالح بن علي والياً على الشام في خلافة المنصور صحب معه جماعة من العلماء منهم المحدث اسحق بن عبد اللّه بن أبي فروة المدني، وقد حدث بالشام، وروى عنه أهلها العلم[3]. ولاهتمام المأمون بتراث الأمم القديمة أرسل مجموعة من العلماء إلى القسطنطينية وجزيرة قبرص، ليزودوا بيت الحكمة بهذا التراث، وترجمته الى اللغة العربية[4].

سمات الفكر التربوي في عصر الإمام:

أولاً: اتساع حركة التأليف والإبداع في مختلف فروع العلم والمعرفة. وبشكل خاص، الدراسات الدينية والتركيز على علوم القرآن والحديث، مع الإهتمام بالعلوم الأخرى نتيجة إزدياد حركة الترجمة من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية ومن هذه العلوم الفلسفة والمنطق والطب.

ثانياً: ازدياد الحلقات التعليمية بشكل كبير، حتى أن جامع بغداد كان يغص بالعلماء الذين يفدون إليه لإلقاء دروسهم.

---

(١) البغدادي: الرحلة في طلب الحديث /١٦٨.

(٢) البغدادي: الرحلة في طلب الحديث /٩١.

(٣) ملكة أبيض: التربية والثقافة العربية /١٧٢.

(٤) أحمد العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي /١٠٨.

ثالثاً: اتساع نطاق الرحلات العلمية والتبادل الثقافي بين العلماء.

رابعاً: ظهور المذاهب الفقهية، الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي، وما زالت الأمة تتبع مذاهبهم في الوقت الحاضر.

خامساً: ظهور المدارس الفكرية المختلفة، كالمعتزلة، والقدرية، وأهل الحديث.

سادساً: اتساع حدة النزاع بين بعض هذه المدارس مثل أهل الحديث وأهل الكلام.

المبحث الثالث: مساهمة الإمام في تنشيط وتطوير الفكر التربوي:

أولاً: رحلته العلمية:

نضجت الحركة العلمية في عصر الإمام أحمد، ومن مظاهر هذا النضج كثرة المصنفات العلمية، وكثرة رجال الحديث النبوي المشهورين بالحفظ والاتقان، حرصاً منهم على سلامة السنة النبوية من الوضع.

ساهم الإمام أحمد في هذه المسيرة التربوية، فتابع الحركة العلمية، وذلك بقيامه بجمع للحديث النبوي من منابعه ليسمع الحديث من راوية نفسه، والتثبت منه، فرحل إلى مناطق متعددة «الكوفة والبصرة، ومكة والمدينة، واليمن والشام والجزيرة»[1].

وهذه الرحلات التي قام بها الإمام تحمل في طياتها اهدافاً، وهي طلب الإسناد العالي[2]، والهدف الآخر هو جمع أكبر مادة علمية من الحديث. فحفظ الحديث النبوي من أول ما تلقاه، يقول «مات هشيم وأنا ابن عشرين سنة، وأنا أحفظ ما سمعت منه»[3]. تلقى الإمام أحمد العلم أولاً في عاصمة الخلافة الإسلامية ومسقط رأسه بغداد، تلقاه على أكبر شيوخها المقيمين والزائرين[4].

لم يكتف الإمام بعلم بغداد، بل شدَّ رحاله إلى الكوفة وهي منارة من منارات العراق الساطعة في العلم، وكان ذلك سنة ثلاث وثمانين ومائة، وحرص الإمام على الأخذ عن أكبر شيوخها[5]، وظل الإمام أحمد حريصاً على أخذ العلم من أفواه العلماء، فبقيت رحلاته العلمية تتوالى، فرحل إلى البصرة سنة ست وثمانين ومائة، وسنة تسعين، وأربع وتسعين ومائة، وسنة مائتين، فسمع من المعتمر بن سليمان، وبشر بن المفضل، وزياد بن الربيع، وابن أبي عدي. ونزل عند يحيى بن سعيد، وسمع من عبد الصمد وأبي داود البرساني وغيرهم من الشيوخ[6].

---

(١) البغدادي: تاريخ بغداد ٤/٤١٢، وأنظر المزي: تهذيب الكمال ١/٤٣٧، وانظر السبكي: طبقات الشافعية ٢/٣٠-٣١.

(٢) الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب الحديث /١٩٧، وانظر ابن الجوزي: المناقب/٢٠٣.

(٣) أبو الفضل صالح: سيرة الإمام أحمد، ١/٣١.

(٤) ابن الجوزي: المناقب، ٢٢-٢٣، وأنظر الذهبي: تاريخ الإسلام /١٢.

(٥) أبو الفضل صالح: سيرة الإمام أحمد ١/٣١، وأنظر وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٧/٢٢٨. المزي: تهذيب الكمال ١/٤٤٧، وانظر الذهبي: تاريخ الإسلام/ ١١.

(٦) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٧/٢٢٨ وأنظر ابن الجوزي: المناقب /٢٧، والمزي: تهذيب الكمال ١/٤٤٦.

وزاد نشاطه العلمي في السفر الى واسط حيث تم اللقاء مع أكبر شيوخها يزيد بن هارون[1]، وخرج الإمام أحمد إلى مكة المكرمة سنة سبع وثمانين ومائة وسنة احدى وتسعين، وست وتسعين وسبع، وثمان وتسعين ومائة. واجتمع بعلمائها[2].

وفي احدى رحلاته إلى مكة نوى أن يرحل الى صنعاء اليمن مع يحيى بن معين ليجتمع بأشهر علمائها وهو عبد الرزاق الصنعاني، فالتقى معه في مكة، ولكن الإمام أحمد رفض أن يأخذ عنه إلاّ أن يرحل إليه ويقيم عنده، خوفاً من أن يفسد نية نواها للّه[3]، دليل على صدق المقصد والهدف والغاية، ولاعتبار النية للّه، فلم ينقض العهد مع الله، فخرج الإمام سنة سبع وتسعين ومائة الى اليمن فأقام هناك ما يقارب السنتين[4].

ورحل الإمام أحمد الى الشام فسمع في حمص من أبي اليمان الحكم بن نافع، ويزيد بن عبد ربه وغيرهم[5]. ورغم قيامه بهذه الرحلات الواسعة تمنى أن يرحل الى الريّ وكان العائق مادياً[6].

ثانيا: تصانيفه:

هذه الرحلة العلمية أثرت في النضوج الفكري لدى الإمام أحمد، فتنوع نتاجه العلمي، فصنف في عدة موضوعات، مما يدل على ثقافته الواسعة.

ومن أشهر هذه المصنفات «المسند» الذي بدأ بوضعه منذ أن تلقى الحديث النبوي. وقد رتب الإمام أحمد مسنده على أسماء الصحابة، وضمنّه نحو ثلاثين ألف حديث أخذت من سبعمائة وخمسين ألف حديث[7].

---

(١) ابن الجوزي: المناقب /٢٧، وأنظر المزي: تهذيب الكمال: ١/٤٤٩-٤٥٠.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام /٧. وأنظر العليمي: المنهج الأحمد ١/٨.

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٧/٢٣٠-٢٣١ وأنظر الذهبي: تاريخ الإسلام /٨ وابن السعدي: الجوهر المحصل/٢١.

(٤) أبو نعيم: الحلية ٩/١٧٤ وأنظر العليمي: المنهج الأحمد ١/٨.

(٥) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٧/٢١٩ وأنظر ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق ٢/٣١.

(٦) أبو الفضل صالح: سيرة الإمام أحمد، ١/٣٢-٣٣ المزي: تهذيب الكمال، ١/٤٤٧ وابن كثير: البداية والنهاية، ١/٣٤٠.

(٧) أبو موسى المديني: خصائص المسند ١/٢١ من طلائع كتاب المسند، ابن الجوزي: المناقب /١٩١، ابن السعدي: الجوهر المحصل /٤٩.

واحتل المسند مكانة رفيعة بين مصادر الحديث الشريف لابتعاد الإمام عن رواية الحديث عمن عرف بالكذب «لم يخرج إلا عمن ثبت عنده صدقه، وديانته، دون من طعن في أمانته»[1].

ومما يزيد من أهمية المسند أقوال العلماء فيه مثل ابن المديني بقوله: «هذا الكتاب أصل كبير، ومرجع وثيق لأصحاب الحديث»[2]. فهو يؤكد ما قاله الإمام أحمد لابنه عبد الله: «احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إماماً»[3] ويقول ابن الجزري: «إذا اختلف الناس في سنة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- رجع إليه»[4].

ومما زاد في اهمية المسند أنه أصبح موضع اهتمام علماء الحديث فقامت دراسات حوله مما أثرى الفكر التربوي، مثل خصائص المسند لابن المديني (ت٥٨١هـ) والمصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد (ت ٨٣٣هـ) وهما منشوران في طلائع كتاب المسند و«القول المسدد في الذب عن المسند لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) وذيل القول المسدد للمحدث المدراسي (ت ١٣٠٠هـ). وهذان الكتابان منشوران في آخر المسند المحقق[5].

جاءت مصنفات الإمام أحمد حسب متطلبات العصر الذي يعيشه، ومما ألف فيه العلماء المعاصرون له[*]. ومن مصنفات الإمام التي أثرت الفكر التربوي الإسلامي «كتاب الايمان» ردٌ فيه على خصوم السنة قولهم أنَّ كلَّ الناس في الايمان سواء، فخلاصة كتابه أن الايمان قولٌ وعمل، يزيد وينقص، والقول والعمل هما الايمان، لذا فليس كلُّ الناس فيه سواء[6] ما جاء في الكتاب وهو مرتكز تربوي لتصفيه الايمان من الشوائب، وأخذه كما أخذه السلف.

---

(١) أبو موسى المديني: خصائص المسند ٢٢/١ من طلائع كتاب المسند.

(٢) ابن المديني: خصائص المسند، ٢١/١، من طلائع كتاب المسند.

(٣) ابن الجوزي: المناقب/١٩١ والعليمي: المنهج الأحمد ١٩/١.

(٤) ابن الجزري: المصعد الأحمد، ٣٠/١ من طلائع كتاب المسند.

(٥) أنظر طلائع كتاب المسند / تحقيق أحمد محمد شاكر.

(*) من أمثال ابن سحنون الذي ألف كتاب المسند ورسالة في السنة وكتاب الورع. وكتاب الإيمان والرد على أهل الشرك وغيرها.

(٦) عبد العزيز سيد الأهل: شيخ الأمة أحمد بن حنبل/١٦٣.

وقد أسهم الإمام أحمد في كتابه «الصلاة» في أغناء فكر الأمة، والتأكيد على أهمية هذه الفريضة المباركة.

وقد أسهم الإمام أحمد في كتابيه «الرد على الزنادقة» و «الرد على الجهمية» في التصدي للفكر الوافد، وبين من خلالهما الفكر التربوي الإسلامي النابع من الأصول. وهذان الكتابان منشوران تحت اسم عقائد أهل السلف، ففي كتابه الرد على الزنادقة بين شك الزنادقة في القرآن، وادعائهم التناقض فيه، فاتبع منهجاً موضوعياً في الرد عليهم، فأورد قول الزنادقة ثم الرد عليهم واعتمد في ذلك على تفسير القرآن بالقرآن نفسه[1].

أما الكتاب الآخر الرد على «الجهمية» وهي فرقة من المعتزلة، فرد عليهما في مسألتين سادتا في ذلك العصر وهما مسألة خلق القرآن ومسألة الصفات[2].

ونبغ الإمام أحمد في مواجهة الظروف الطارئة في تصانيفه، فكان كتاب الأشربة يتضمن ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلّم بشأن الأشربة المحرمة، وما ورد عن الصحابة والتابعين حول هذه الاشربة بتأكيد تحريمها[3].

وقد تجرد الإمام أحمد للحق والحقيقة ففي كتاب «فضائل الصحابة» وضح الإمام أحمد أن الخلافة يجب أن تكون في أبي بكر ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي. فعندما سُئل ما تقول في علي وعثمان؟ أجاب: عثمان ثم علي[4].

ردّ الإمام على أقوال كانت تردد أن الخلافة يجب أن تكون في علي ثم أبي بكر وعمر وعثمان. اعتبر الإمام مخالفة ترتيب الصحابة هو طعن على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلّم[5]. مع أنه لم ينتقص من حق الإمام علي يقول: «في الخلافة ابي بكر وعمر وعثمان»، فسئل فعلي بن ابي طالب أجاب: «علي بن أبي طالب من أهل البيت لا يقاس به أحد»[6].

---

(١) عقائد أهل السلف: المقدمة /١٧-١٨.

(٢) عقائد أهل السلف: المقدمة /١٩.

(٣) الإمام أحمد بن حنبل: الأشربة، المقدمة /٣.

(٤) ابن الجوزي: المناقب /١٦٢.

(٥) ابن الجوزي: المناقب ١٦٢، وأنظر السيوطي: تاريخ الخلفاء /٤٩٢.

(٦) ابن الجوزي: المناقب /١٦٣.

وفي كتابه «السنة» صنف عدة بحوث منها آراء العلماء في الجهمية، وأقوالهم في القرآن وأنه غير مخلوق، وغيرها من البحوث مما أعطى لنا منهجاً تربوياً هدفه لمُّ كلمة الأمة خوفاً من أن تنزلق في براثن الجدلية الذي يؤدي الى انقسام الأمة، وهذا ما نحتاجه اليوم. مما اثرى الفكر التربوي الإسلامي بهذه البحوث الهادفة التي اتفقت مع التصور الإسلامي الصحيح للقضايا المطروحة.

وقد ذكر المترجمون للإمام هذه المصنفات وغيرها من المصنفات «المسند» «التفسير» وهو مائة ألف وعشرون ألف حديث «الناسخ والمنسوخ» و «التاريخ» و «حديث شعبة» والمقدم والمؤخر في القرآن «وجوابات القرآن» و «الفضائل» و«الفرائض» و«الرد على الجهمية» و«الرد على الزنادقة» وغيرها[1].

وللإمام مصنفات أخرى هي «الزهد» و«الورع»[2] وسنتحدث عنهما في الفصل الثالث إن شاء الله.

ثالثاً: تدريسه:

نشطت الحلقات التعليمية في المساجد في عصر الإمام أحمد، وغصَّ جامع بغداد بهذه الحلقات، والإمام أحمد أحدُ هؤلاء العلماء الذين أدوّا رسالتهم في ممارسة النشاط التعليمي.

لم يجلس الإمام أحمد للتدريس بصورة فعلية قبل سن الأربعين، فإذا ما سُئِل عن مسألة أفتى فيها من باب عدم كتمان العلم امتثالاً لأمر الشريعة. فقد علّم الإمام أحمد في هذه الفترة في الحديث والفقه وأفتى في المناسك في مسجد الخيف سنة ثمان وتسعين ومائة[3]. وعندما بلغ سن الأربعين سنة أربع ومائتين جلس الإمام أحمد للتدريس[4] وبصورة فعلية.

---

(١) أبو يعلى: طبقات الحنابلة. ١/٨. العليمي: المنهج الأحمد، ١/١٩. وأنظر الداوودي: طبقات المفسرين، ١/٧٢.

(٢) ابن السعدي: الجوهر المحصل/٤٩.

(٣) أبو نعيم: الحلية، ٩/١٦٤ وأنظرابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٧/٢٥٦ والمزي: تهذيب الكمال ١/٤٥٨.

(٤) ابن الجوزي: المناقب/١٨٨.

لم يواصل الإمام أحمد التدريس، بل انقطع عنهُ في فترات إلى أن امتنع عن التحديث، وكان امتناع أحمد عن التحديث في أيّام المحنة. ولكن بعد موت المعتصم وتولى الواثق كَثر أخذ الناس عن الإمام فقطع الحديث دون منعٍ من السلطان، ولكن أبلغ الحسن بن علي بن الجعد قاضي بغداد ابن أبي دؤاد بأن الإمام يحدث، فبلغ الخبر للإمام أحمد، فامتنع عن التحديث.[1].

وعاد في أوائل عهد المتوكل إلى التحديث فيقول: «ما كان الناس إلى الحديث والعلم أحوج منهم في زماننا هذا»[2]. بعدها امتنع الإمام أحمد عن التحديث إلى حين وفاته، وذلك أن المتوكل أرسل إليه ليعلم ابنه المعتز، فرفض الإمام لأنّه أقسمّ ألاّ يحدث حتى يموت، واعتبر الإمام القرب من السلطان شيئاً يكرهه، وتدريس المعتز قربان منه، فالإمام يكرهه[3]. للإمام أحمد مجلسان: عام وخاص. أما العام فكان عدد الحضور ما يقارب خمسة الآف أو يزيدون على ذلك[4]، أما مجلسه الخاص فيعقده في منزله، وقد تلقى عليه العلم في منزله ابناه عبدالله وصالح وحنبل ابن عمه[5].

وللإمام في مجلسه آداب وطرق تدريسية سيتم الحديث عنها في فصولٍ لاحقةٍ من هذا البحث إن شاء الله.

رابعا:نشاط تلاميذ الإمام:

للإمام أحمد صلة في التراث التربوي، فهو يشغل حيزاً كبيراً فيه، فصدى نشاطه التربوي نجده – بالإضافة إلى ماسبق – في مؤلفات تلاميذه التي أعطت صورة واضحةً عن الفكر التربوي للمجتمع الإسلامي في ذلك العصر. مما دفع الحركة العلمية إلى الإمام.

---

(١) ابن الجوزي: المناقب/٣٤٨. وأنظر ابن السعدي: الجوهر المحصل/٦٦

(٢) حنبل بن اسحق: ذكر محنه الإمام أحمد/٨٥.

(٣) أبو يعلى: طبقات الحنابلة ١/١٢.

(٤) ابن الجوزي: المناقب /٢١٠.

(٥) ابن السعدي: الجوهر المحصل ٤٩.

ومن تلاميذه الذين لهم إسهامات في مسيرة الفكر التربوي:-

١- الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ)[١] صاحبُ كتاب «الجامع الصحيح»، «والتاريخ» وغير ذلك من التصانيف[٢].

٢- مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)[٣].صاحب الصحيح، صنف المسند الصحيح، وله كتاب «العلل»، وكتاب «الكُنى»، وكتاب «أوهام المحدثين» وغير ذلك[٤].

٣- أبو اسحق الحربي (ت ٢٨٥هـ)[٥] من تصانيفه كتاب «غريب الحديث»، «دلائل النبوة»، و«النهي عن الكذب»[٦]. وغيرهم من التلاميذ[*].

ومن اتباع الإمام أحمد الذين سمعوا من تلاميذه وأصحابه وساهموا في حركة التأليف في الفقه الحنبلي:-

أبو بكر الخلال [٧] الذي أخذ في التصنيف في جامع علم الإمام وتفسير غريب حديثه وعللّه[٨] وأبو القاسم الخرقي (ت ٣٢٤) وله مصنفات في المذهب الحنبلي وأهمها المختصر في الفقه»[٩].

خامساً: علمه في الجرح والتعديل:

تكلم الصحابة ومن بعدهم التابعون في هذا العلم لوجوبه على المسلمين حفاظاً على الشريعة الإسلامية.

وفي بداية القرن الثاني الهجري صنّفت الكتب في هذا العلم لمعرفة أحوال الرواة، ومن أشهر النقاد في الجرح والتعديل، الإمام أحمد بن حنبل من طبقة

(١) أنظر الفصل الأول من هذا البحث /٣٥.

(٢) العليمي: المنهج الأحمد. ١٣٣/١

(٣) العليمي: المنهج الأحمد ١٤٦/١.

(٤) العليمي: المنهج الأحمد. ١٤٧/١.

(٥) أنظر الفصل الأول من هذا البحث /٣٠.

(٦) العليمي: المنهج الأحمد ١٩٧/١.

(*) للإستزادة أنظر. العليمي: المنهج الأحمد فهو يترجم لأصحاب الإمام أحمد.

(٧) الذهبي: سير الأعلام /٣٣١/١١.

(٨) ابن الشطيّ: مختصر طبقات الحنابلة /٢٨.

(٩) ابن الشطي: مختصر طبقات الحنابلة /٣١-٣٢.

يحي بن معين (ت ٢٣٣هـ)، فتكلم عن كثير من الرّجال دون أن يخرج عن حد الإعتدال[1].

ومن هؤلاء الذين تكلّم الإمام أحمد فيهم إخلاصاً للحديث النبوي لمعرفة الحَق زياد بن الجارود الثقفي، قال الإمام أحمد عنه «متروك الحديث»[2] وعندما سُئل عن حُسَام بن المصك قال: «أرى الناس قد تركوا حديثه»[3] وهذه المعرفة التربوية في نقد الرواة أفادت في المنجزات العلمية في الحديث النبوي الشريف.

سادساً: محاربة علماء الكلام:

ترعرع تيار الاعتزال في عهد المأمون فطغى العقل فيه على النص، مما أدخل الفساد على العقيدة الإسلامية وأدى إلى انحرافاتٍ في مفاهيمها.

دافع الإمام أحمد عن صفاء العقيدة الإسلامية وواجه هذه الأباطيل والترف الفكري البعيد عن السلف، فتصدى لهم بالحجج المقنعة من الكتاب والسنّة.

كره الإمام أحمد الكلام حتى الجلوس مع المتكلمين، فعندما جاءه نفرٌ خائف من انتشار الكلام والإعتزال، لأن ابن أبي دؤاد أمر بتعليم الصبيان في الكتاتيب أن القرآن مخلوقٌ. جاء هذا النفر إلى الإمام أحمد، فتصدى لهم بالدليل عن طريق المناظرة، فمنعهم من نشر آرائهم[4]، وغير ذلك من ثباته مما سنتحدث عنه في الفصل الأخير، إن شاء الله.

---

(١) ابو زهو: الحديث والمحدثون/٤٥٤-٤٥٦.

(٢) ابن أبي حاتم: المجروحين/١/٣٠٦

(٣) ابن أبي حاتم: المجروحين، ١/٢٧٢.

(٤) الذهبي: سير الأعلام، ١١/٢٦٣.

الفصل الثالث

آراؤه التربويـــة

المبحث الأول : آداب العالم والمتعلم.
المبحث الثاني: مفهوم الزهد والورع وأثرهما في التربية السلوكية.
المبحث الثالث: في اهداف التعليم الإسلامي، وخصائصه ومناهجه، وطرق تدريسه.

المبحث الأول: آداب العالم والمتعلم:

بين الرسول -صلى الله عليه وسلم- مكانة العالم وفضله بقوله: «إنَّ فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب»[1]. ويتطلب التعليم ممن يتقلده أن يتحلى بآداب كريمة حتى يكون على مستوى الرسالة التي يؤديها يقول الإمام الغزالي: «من اشتغل بالتعليم فقد تقلّد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً» [2]. ويزداد فضله رفعة عندما يتحلى بآداب وصفات حميدة، نائياً بنفسه عما يحط من قدره .

أولاً: آداب العالم في نفسه ويشاركه فيها المتعلم:

لقد تمثل الإمام أحمد الخلق الإسلامي الرفيع قولاً وفعلاً، وتحلى في سلوكه بالقيم الرفيعة، ليكون قدوة لغيره امتثالاً لقوله تعالى: **«لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»**[3] ومن آدابه وخصاله:-

١- التحلي بالقيم الخلقية الرفيعة:

وأول هذه الأخلاق التقوى، وهي أفضل ما يتحلى به المرء لأنها الأساس وعليها تتوقف الأعمال، فعند وداعه لابن المديني عند سفره إلى مكة أوصاه بتقوى الله بقوله: «الزم التقوى قلبك»[4]، فهو دائم الخوف من الله والتذكر للموت، حتى إنه يمنعه أكل الطعام والشراب فلا يشتهيه، فهانت عليه الدنيا[5].

فالعلماء هم أشد خشية وخوفاً من الله، قال تعالى: **«إنّما يخشى الله من عباده العلماء»**[6]. ومن أخلاقه الصدق وعكسه لا يكون عليه المؤمن، قال تعالى: **«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»**[7]. قال الشافعي في صدق الإمام: «رأيت

---

(١) ابن ماجة، السنن، ١/٨١ المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، قال الألباني: «صحيح». الألباني: صحيح سنن ابن ماجة، ١/٤٣.

(٢) عبد الأمير شمس الدين: الفكر التربوي عند الإمام الغزالي /١٨٧.

(٣) سورة الاحزاب آية ٢١.

(٤) أبو نعيم: الحلية ٩/١٧٣.

(٥) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق ٢/٤٧ وانظر ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/٣٤٧، وانظر الذهبي: سير الأعلام، ١١/٢١٥، وانظر العليمي: المنهج الأحمد ١/١٤.

(٦) سورة فاطر آية ٢٨.

(٧) سورة التوبة آية ١١٩.

ببغداد شاباً إذا قال حدثنا، قال الناس كلهم صدق، قيل من هو؟ قال: أحمد بن حنبل»[1] ومن صدقه أنه لا ينظر إلى نصراني وفي ذلك يقول: «لا أقدر أن أنظر الى من افترى على الله وكذب عليه»[2]. لافترائهم وكذبهم على الله.

ولأهمية الصبر في حياة المؤمن الصادق نجد أن الإمام أحمد كان صابراً في طلبه للعلم، فتحمل المشاق والمصاعب في سبيله، فإذا نفد زاده وعدّته في طلبه العلم، كان يعمل بنفسه حتى يواصل الطلب[3].

ومع نفاد نفقته فقد كانت نفسه عفيفة، فعرض عليه أصحابه مالاً عندما انقطعت نفقته، فرفضها الإمام[4] امتثالاً لقوله عليه الصلاة والسلام: «ازهد في الدنيا، يحبك الله، وأزهد فيما في أيدي الناس يحبوك»[5]. ولم يفتخر الإمام أحمد بأنه من العرب، ولا بما يحمل من صفات خيرٍ وصلاحٍ في أمره، امتثالاً لقوله عليه الصلاة والسلام: «أن الله أوحى إليّ ان تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد»[6].

ومن كريم خلقه الجود إذ يجود ويتبرع لمن يطلب منه[7]، فعن ابن عباس قال: «فلرسول الله صلى الله عليه وسلّم أجود بالخير من الريح المرسلة»[8]. وكان الإمام أحمد كريم مع ضيفه يقول: «كُل الطعام، مع الإخوان بالسرور، ومع الفقراء بالإيثار، ومع أبناء الدنيا بالمروءة»[9]. مع إدراكه لمعنى الجود والايثار دون إسراف بقوله: «لو أن الدنيا حتى تكون في مقدار لقمة ثم اخذها امرؤ مسلم، فوضعها في فم اخيه المسلم لما كان مسرفاً»[10].

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ١٢.

(٢) أبو يعلى: طبقات الحنابلة ١/١٢ وأنظر العليمي: المنهج الأحمد ١/١٤.

(٣) ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/٣٤٣ وأنظر الذهبي: تاريخ الإسلام /١٩.

(٤) الذهبي: سير الأعلام ١١/٢١٤.

(٥) ابن ماجة: السنن، ٢/١٣٧٣-١٣٧٤. كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا. قال الألباني «صحيح»، الألباني صحيح سنن ابن ماجة، ٢/٣٩٢.

(٦) مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٧/٢٠٠، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(٧) ابن الجوزي: المناقب /٢٤٠.

(٨) البخاري صحيح البخاري ١/٨ كتاب الوحي بان كيف بدء الوحي الى الرسول صلى الله عليه وسلّم.

(٩) العليمي: المنهج الأحمد ١/٢٠.

(١٠) ابن الجوزي: المناقب /٢٠٢ وانظر الذهبي: سير الأعلام ١١/٣٠٣.

ومن أخلاقه اعراضه عن القول القبيح، فلا يقل إلا مذاكرة الحديث، وذكر الصالحين، والزهاد يغض بصره، ويبش في وجه من يلاقيه[1].

وقد جمع خصاله البوشنجي فقال عنه: «ما رأيت احداً في عصر ابي عبد الله ممن رأيت أجمع منه ديانة، وصيانة، وفقهاً، وعلماً، وأدب نفس، وكرم خلق، وثباتاً»[2].

٢- اتباع الأثر:

قال تعالى: «**يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول، وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول**»[3].

أكد الإمام أحمد العودة إلى القرآن الكريم والسنة الشريفة، فلم يتوان في المحافظة على السنة النبوية واتباعها يقول: «فهذه السنة الزموها تسلموا»[4]، وقد شهد له علماء عصره بذلك، يقول الميموني: «ما رأيت مصلياً قط أحسن صلاة من أحمد بن حنبل، ولا أشد اتباعاً للسنن منه»[5] وكان الإمام أحمد دائماً يدعو «اللهمّ أمتنا على الإسلام والسّنة»[6].

واستمر الإمام يتبع السنن الى آخر لحظات عمره، ففي مرضه طلب تخليل أصابعه[7]* وتبع الأثر، فبلغه أن طاوساً كان يكره الأنين فما أن إلا في الليلة التي توفي فيها[8].

---

(١) الذهبي: سير الأعلام، ١١/٣١٧-٣١٨، وأنظر العليمي: المنهج الأحمد ١/٢٧.

(٢) ابن السعدي: الجوهر المحصل /٢٠.

(٣) سورة النساء، آية ٥٩.

(٤) ابن الجوزي: المناقب /١٧٧.

(٥) النووي: تهذيب الأسماء واللغات ١/١١٢.

(٦) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٧/٢٨١.

(٧) * أبو نعيم: الحلية ٩/١٨٣ وأنظر السبكي: طبقات الشافعية ٢/٣٤.
قال صلى الله عليه وسلّم: «إذا توضّأت فخلل الأصابع».
الترمذي: السنن، ١/٢٩ أبواب الطهارة، باب ما جاء في تخليل الأصابع. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٨) أبو نعيم: الحلية ٩/١٨٣ وأنظر الذهبي سير الأعلام، ١١/٣٤١.

٣- التنزه عن الشهرة:

حتى تكون للعلم الفائدة المتوخاة، لا بد أن يقصد منه التقرب الى الله سبحانه وتعالى، ولا يقصد به حب الشهرة لمماراة السفهاء، فلا ينتظر مديحاً أو ثناءاً. يقول صلى الله عليه وسلّم: «إن اغبط الناس عندي لمؤمن خفيف الحاذ، ذو حظ من الصلاة، أحسن عبادة ربه، وأطاعه في السر، وكان غامضاً في الناس لا يشار اليه بالاصابع، وكان رزقه كفافاً فصبر على ذلك، ثم نقر بأصبعيه، فقال: عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه[1].

فالشهرة عند الإمام أحمد هي ابتلاء من الله، فهو دائماً يتمنى الموت ويشتهي المكان الذي لا يكون فيه أحدٌ من الناس[2]، ويقول: «لو وجدت السبيل لخرجت حتى لا يكون لي ذكر»[3]، امتثالاً لما قاله الرسول صلى الله عليه وسلّم عندما جاءه اعرابي فقال: «يا رسول الله، أي الناس، خير، قال: رجل جاهد بنفسه وماله ورجل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره»[4]. وابتعد الامام عن كل ما يؤدي به إلى الشهرة من التزين بلباس القراء وإظهار النسك[5].

٤- صيانة العلم والابتعاد عن السلطة:

ترفع الإمام أحمد عن السلطة وأموالها، واعتبر السلطان داء بل هو شر داء، فقد كتب الى سعيد بن يعقوب يقول له: «أما بعد فإن الدنيا داء، والسلطان داء، والعالم طبيب، فإذا رأيت الطبيب يجر الداء الى نفسه فاحذره»[6]. لذا فالإمام أحمد عندما عرض عليه منصب قاض في اليمن زمن هارون الرشيد رفضه[7] وترفع حتى عن أموالهم، فعندما بعث المأمون أموالاً الى أصحاب الحديث، أخذوا كلّهم إلا الإمام أحمد فإنه رفض[8].

---

(١) الترمذي: السنن: ٤/٥-٦، أبواب الزهد، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه. قال هذا حديث حسن. وأنظر الإمام أحمد: المسند ٥/٢٥٥.

(٢) ابن الجوزي: المناقب /٢٨٠ وأنظر الذهبي: سير الأعلام ١١/٢٢٦.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام /٢١.

(٤) البخاري: صحيح البخاري، ٤/١٢٨، كتاب الدعوات. باب العزلة راحة من خلاط السوء.

(٥) الذهبي: سير الأعلام ١١/٢٠٧.

(٦) ابن الجوزي: المناقب /٢٠٧ وأنظر الذهبي: تاريخ الإسلام /٢٠.

(٧) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق ٢/٣٤. وانظر الذهبي: سير الأعلام، ١١/٢٢٣-٢٢٤.

(٨) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٧/٢٦٤ وأنظر تهذيب تاريخ دمشق /٢/٤١.

ابتعد الإمام عمن اقترب من السلطان، كما فعل مع أقرب الناس إليه، إبنه صالح، وعمّه، حتى أنه أمر بسد الباب بينه وبينهم، بسبب قبولهم هدية السلطان[1].

قال الأوزاعي: «ما شيء ابغض الى الله تعالى من عالم يزور أميراً»[2].

٥- المحافظة على القيام بشعائر الإسلام:

حافظ الإمام أحمد على القيام بشعائر الإسلام، فكان كثير الصلاة، فهو يصلي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة، وعندما ضعف جسمه بعد المحنة أصبح يصلي كل يوم مئة وخمسين ركعة[3]، فيصلي بين المغرب والعشاء ثم ينام بعد العشاء وقتاً يسيراً، بعدها يقوم ويصلي الى حين الصباح[4].

وكان كثير التلاوة لكتاب اللّه فكان يختمه مرة في الأسبوع[5] ويستغرب من طالب علم لم يقم لاحياء ليلة، وفي ذات ليلة كان عنده أحد العلماء فوضع عنده ماءاً، وفي الصباح نظر الى الماء فوجده كما هو. فقال: «يا سبحان الله، رجل يطلب العلم لا يكون له ورد بالليل»[6]. وكان يواصل الصيام، حتى في محنته يفطر من صومه كل ثلاثة أيام على تمر وسويق، وأحياناً يفطر ليلة وليلة لا يفطر[7].

٦- تجنب المزاح:

ابتعد الإمام أحمد عن المزاح والضحك فعند حضوره مجلس يزيد بن هارون مزح يزيد مع مستمليه فتنحنح أحمد، فضرب يزيد بيده على جبينه. وقال: «ألا أعلمتوني أن أحمد ها هنا حتى لا أمزح»[8]. فهم يزيد بن هارون انزعاج أحمد من

---

(١) أبو نعيم: الحلية ١٧٧/٩ وأنظر ابن الجوزي: صفة الصفوة ٣٤٨/٢. وأنظر ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق ٣٩/٢.

(٢) شفيق زيعور: الفكر التربوي عند العلموي /٩٦.

(٣) أبو نعيم: الحلية ١٨١/٩. وأنظر العراقي: طرح التثريب ٣١/١-٣٢.

(٤) أبو نعيم: الحلية ١٨١/٩، وأنظر: سير الأعلام ٢١٤/١١-٢١٥.

(٥) أبو نعيم: الحلية ٢١١/٩ وأنظر الذهبي: تاريخ الإسلام /٦٣.

(٦) ابن الجوزي: صفة الصفوة ٣٣٩/٢ وأنظر الشعراني: الطبقات الكبرى ٥٤/١.

(٧) أبو نعيم: الحلية، ٢١٠/٩.

(٨) أبو نعيم: الحلية ١٦٩/٩ وأنظر الذهبي: سير الأعلام ١٩٤/١١.

المزاح والضحك بتنحنه. قال الإمام على كرم الله وجه: «إذا ضحك العالم ضحكة، مجّ من العلم مجّه»[1].

٧- التفرغ للعلم وتقليل الاشتغال بالدنيا:

تفرغ الإمام أحمد للعلم فلم يتشاغل عنه بكسب أو تجارة، وعند نفاذ نفقته كان يشتغل بالكتابة ليأخذ أجراً وأحياناً يشتغل بنسج التكك[*] يبيعها وينفق[2].

ومن أراد الآخرة فليصرف نظره عن الدنيا وملاذها، فالدنيا والآخرة لا تجتمعان في قلب. قال تعالى: «**ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**»[3]. فزهد الإمام أحمد في الطعام واللباس، والمناصب وغيرها من مغريات الدنيا.

أراد فوران أن يبعث للإمام بخف قائلاً له: «عندي خف ابعث به اليك، فسكت، فلما عاد اليه قال: يا أبا محمد، لا تبعث بالخف، فقد شغل قلبي»[4] قال الشافعي: «لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح»[5].

٨- الإهتمام بنظافة نفسه:

اهتم الإمام أحمد بتنظيف ثيابه، وأكثر من العناية بنفسه، وبدنه، وشعر رأسه[6] فهذا منهج تربوي عملي.

---

(١) الماوردي: أدب الدنيا والدين /٣٠٢.

(*) التكك: وهي تكة السراويل وجمعها تكك، والتكة رباط السراويل. ابن منظور: لسان العرب، ٤٠٦/١٠.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام /١٨-١٩.

(٣) سورة الأحزاب آية ٤.

(٤) أبو نعيم: الحلية ١٧٨/٩-١٧٩ وأنظر ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٢٦٦/٧.

(٥) شفيق زيعور: الفكر التربوي عند العلموي /١٢٨.

(٦) الذهبي: تاريخ الإسلام /٢١ وسير الأعلام: ٢٠٨/١١.

ثانياً: آداب العالم في درسه:

١- كمال الأهلية:

جلس الإمام أحمد للتدريس وعمره أربعون سنة، فالعالم لا يتولى التدريس إلا إذا اكتملت أهليته، ومن كمالها العلم بالقرآن والسنة.

فعندما سئل الإمام أحمد عن كفاية المفتي من الحديث النبوي، يكفيه مئة ألف؟ أجاب: «لا» إلى أن قيل له: يكفيه خمسمائة ألف؟ قال: «أرجو»[1].

٢- كيفية الجلوس:

اهتم الإمام أحمد بجلسة العالم، فإذا خرج إلى درسه لم يتصدر بل كان يجلس حيث يجد مكاناً للجلوس، ويجلس جلسة القرفصاء[2] اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلمّ فعن أنس قال: «لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون مقعدة من كراهيته لذلك»[4].

ورأت احدى النساء الرسول -صلى الله عليه وسلّم- وهو «قاعد القرفصاء»[5].

ومن آداب الإمام أحمد في جلسته أنه كان لا يمد قدمه في المجلس، فالوقار والسكينة تعلوه في مجلسه[6].

---

(١) الذهبي: سير الأعلام ٢٣٢/١١.

(٢) ابن الجوزي: المناقب /٢١٠ وأنظر الذهبي سير الأعلام ٢١٨/١١. وتاريخ الإسلام ٣١.

(٤) الترمذي: السنن. ١٨٣/٤-١٨٤، أبواب الاستئذان والآداب. باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل. قال الألباني: (صحيح). الألباني: صحيح سنن الترمذي ٣٥٦/٢.

(٥) أبو داود: سنن أبي داود، ٢٦٢/٤، كتاب الأدب، باب في جلوس الرجل.

(٦) ابن الجوزي: المناقب ٢١٨.

٣- إلقاء درسه:

كان مجلس الإمام أحمد مجالس الآخرة، فلا يذكر فيها شيئاً من أمر الدنيا، إما اذا ذكر العلم فيتكلم به[1]. ولا يلقى الإمام درسه إلا إذا سأله أحد، قائلاً له: «لبيك لبيك»[2]. وإجابته تكون من القرآن أو السنة أو عن الصحابة والتابعين[3] ولا يعتمد فيها على الذاكرة على الرغم من حفظه واتقانه لأنه يعتبر الكتاب أحفظ شيء، فلا يحدث علمه إلا من الكتاب، وقد أوصى يحيى بن معين بعدم التحديث إلا من كتاب بقوله: «لا تحدث المسند إلا من كتاب»[4]. وقال عنه ابن المديني: «إنه لا يحدث إلا من كتاب ولنا فيه أسوة حسنة»[5]. وكان أحياناً يقول: لا أدري» إذا لم يكن عنده في المسألة شيء»[6].

٤- معاملة تلاميذه بالتساوي وإكرامه الفقير:

لم يميز الإمام أحمد بين الغني والفقير في مجلسه، بل على العكس فهو أكثر ميلاً وإكراماً للفقراء، ويشهد له تلاميذه بذلك، قال المروزي: «لم أر الفقير في مجلس أعزَّ منه في مجلس أحمد، كان مائلاً إليهم، مقصراً عن أهل الدنيا»[7].

٥- احترام التلاميذ:

احترم الإمام أحمد تلاميذه، ولم يتوان في تقديم عذره لهم عندما رأى ذلك من الواجب عليه، جاء الإمام إلى بيت ابنه صالح ليلقى درسه، فحدث تلاميذه بحديث الأحنف بن قيس عندما جاء من السفر وقد غيّروا سقف بيته، فردَّ عليه التلاميذ «أما ترى إلى سقف بيتك؟». فقال الإمام: «معذرةٌ إليكم، إني لم أره، لا أدخله حتى تغيّروه»[8]، فتقديم العذر دليل التقدير والاحترام.

---

(١) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٧/٢٥٢. وأنظر ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/٣٣٩، وانظر ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/٣٤٣، وابن السعدي: الجوهر المحصل /٣٦.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام /٣١.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام /٢٨.

(٤) ابن العماد: شذرات الذهب ٢/٩٧.

(٥) ابن ابي حاتم: الجرح والتعديل ١/٢٩٥ وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٧/٢٤١ والمزي: تهذيب الكمال ١/٤٥٢.

(٦) ابن الجوزي: المناقب /٢٦٩. وانظر ابن القيم: اعلام الموقعين، ١/٣٣.

(٧) الذهبي: سير الأعلام ١١/٢١٨ وأنظر تاريخ الإسلام /٣١.

(٨) ابن الجوزي: المناقب، /٢٤٥-٢٤٦.

٦- **الشفقة على التلاميذ:**

المعلم مثل الوالد لولده، قال عليه الصلاة والسلام: «إنّما أنا لكم مثل الوالد لولده»[1]، ويدعو عليه الصلاة والسلام إلى الرفق بقوله: «إنّ الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»[2]، مرّ الإمام أحمد بهارون الحمال (ت٢٤٣هـ). وهو يلقي درسه، وكان جالساً في الفيء بينما تلاميذه في الشمس، فعاد اليه في المساء وقال له: «جزت عليك اليوم، وأنت قاعد تحدث الناس في الفيء، والناس في الشمس بأيديهم الأقلام والدفاتر، لا تفعل مرة أخرى إذا قعدت، فاقعد مع الناس»[3]. أشفق الإمام أحمد على تلاميذ هارون الحمال. فمن الأولى أن يكون أكثر رحمة وشفقة على تلاميذه.

٧- **تقديم النصح والإرشاد لتلاميذه والدعاء لهم:**

قدم الإمام أحمد النصح لتلاميذه امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلّم: «الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[4]. نهى الإمام تلاميذه عن كتابة العلم عمن يأخذ عروضاً دنيوية[5]، وأرشدهم ودلهم على أصحاب الآثار والسنن، وحذرهم من أخذ العلم عن أصحاب الأهواء قال الاسفرايني: «سمعت أحمد بن حنبل سئل عمن نكتب في طريقنا، فقال: «عليكم بهناد، وبسفيان بن وكيع، وبمكة ابن أبي عمر، وإياكم أن تكتبوا يعني عن أحد من أصحاب الأهواء قليلاً ولا كثيراً، عليكم بأصحاب الآثار والسنن»[6]. وقد نصح ابن عمه اسحق عندما رآه يكتب خطاً دقيقاً بقوله: «لا تفعل، أحوج ما تكون إليه يخونك» وغيرها من المواقف[7].

---

(١) ابن ماجة: السنن، ١/١١٤، كتاب الطهارة وسننها باب الاستنجاء بالحجارة والنهي عن الروث والرمة. قال الألباني: «حسن صحيح». الألباني: صحيح سنن ابن ماجة ١/٥٧.

(٢) مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٦/١٤٦-١٤٧، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق.

(٣) البغدادي: تاريخ بغداد ١٤/٢٢.

(٤) البخاري: صحيح البخاري، ١/٢٠، كتاب الايمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلّم الدين النصيحة.

(٥) الشعراني: الطبقات الكبرى ١/٥٦.

(٦) الذهبي: سير الأعلام ١١/٢٣١.

(٧) ابن الجوزي: المناقب /١٨٩. وانظر العليمي: المنهج الأحمد ١/٢٠.

دعا الإمام أحمد لتلاميذه بأحسن الأدعية، فعندما طلب جعفر بن يعقوب الصّفار أن يدعو لهم الإمام قال: «اللّهم إنك تعلم أنك لنا على أكثر مما نحب، فاجعلنا لك على ما تحب. اللهم إنا نسألك بالقدرة التي قلت للسموات . . .»[1].

٨- النهي عن تدوين بعض آرائه الفقهية:

نهى الإمام أحمد عن تدوين مسائله، فهو يكره كتابة رأيه، وينهى أن يكتب عنه كلامه ومسائله، ولو أراد ذلك لكانت له تصانيف عديدة، ولنقلت عنه كتب كثيرة، فكانت تصانيفه المنقولات[2]، مع أنه سمح لبعض تلاميذه كتابة رأيه حياءً منهم[3].

٩- ختمه الدرس:

كان من عادة العلماء إذا انتهى الدرس أن يقول عبارة تدل على انتهاء الدرس، فالإمام أحمد عند انتهاء درسه يقول لتلاميذه: «إذا شئتم»[4] فهذا أدب تربوي لإشعار التلاميذ بإنتهاء الدرس.

ثالثاً: آداب المتعلم مع شيوخه:

كما أن للعالم آداباً يجب مراعاتها، كذلك للمتعلم آداب يتخلق بها لأنه مسؤول عن تصرفاته تجاه نفسه والمجتمع وتجاه شيخه، فالإمام أحمد اعتبر نفسه دائماً متعلماً، فتخلق بأخلاق المتعلمين وتأدبهم مع شيوخهم. ومن هذه الآداب:

١- التواضع:

وهو من مكارم الأخلاق، قال صلى الله عليه وسلّم: «ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[5] وقال عمر بن الخطاب: «تعلّموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، ليتواضع لكم من تعلمونه»[6]. تواضع الإمام أحمد

(١) الذهبي: سير الأعلام ٢٢٩/١١.

(٢) ابن الجوزي: المناقب /١٩١. وأنظر الداوودي: طبقات المفسرين من ٧١/١.

(٣) العليمي: المنهج الأحمد ١٧١/١.

(٤) الذهبي: سير الأعلام ٢١٣/١١ وتاريخ الإسلام /٢١.

(٥) مسلم: صحيح مسلم ١٤١/١٦، كتاب البر والصلة: باب استحباب العفو والتواضع.

(٦) الماوردي، أدب الدنيا والدين /٨٠.

لشيوخه، وأكثر ما كان تواضعه ليحيى بن معين، وهو أكبر منه بسبع سنين، وبالمقابل احترمه وعظمه شيوخه»[1].

ومن عظيم تواضعه حضوره مجلس خلف للاستماع لحديث أبي عوانة، فأراد خلف أن يرفعه، فرفض الإمام أحمد قائلاً: «لا أجلس إلا بين يديك، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه»[2].

٢- عدم تخطي الناس في المجالس:

جعل الضحاك بن مخلد يذم تلاميذه في مجلسه لعدم فقههم، فردوا عليه بأن هناك فقيهاً سيلحق بهم، ويقصدون الإمام أحمد، وعند مجيئه، قال الضحاك: «تقدم» قال الإمام: «أكره أن اتخطى الناس» فقال أبو عاصم: «هذا من فقهه» وأخذه فقال: وسعوا له، فوسعوا فدخل فأجلسه بين يديه[3]. فأعطى لنا أدباً أنه من أتى مجلساً فليجلس حيث انتهى به مكان الجلوس.

٣- إجلال وتعظيم الشيخ:

احترم الإمام أحمد شيوخه وعظمهم، فقد حضر الإمام مع بعض علماء عصره في مجلس يحيى القطان بعد العصر يستمعونه يحدث، ويسألونه عن الحديث، وهم وقوف ريثما تحين صلاة المغرب، لا يجلسون هيبة وتعظيماً لشيخهم[4].

وصف وكيع تواضع الإمام أحمد في مجلسه بحضور الإمام وعمرو بن الناقد، فقال عمرو بن الناقد للإمام: «يا أبا عبد الله، إن الشيخ يكرمك فما بالك لا تتكلم؟ فقال الإمام أحمد: إن كان يكرمني فينبغي أن اجله»[4]. ومن اجلاله لشيخه وتوقيره له عدم الانتقاص منه، واعطائه حقه، فكان يقول عن الإمام الشافعي: «إن الشافعي مكنه الله تعالى من أنواع العلوم حتى عجز لديه المناظرون من الطوائف وأصحاب الفتوى»[5]. والاعتراف بفضل شيخه عليه يقول

---

(١) الذهبي: سير الأعلام ٣١٨/١١ أنظر العليمي: المنهج الأحمد ٢٧/١.

(٢) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ٣٣٧/٢ وأنظر ابن السعدي، الجوهر المحصل، /٢٣ والعليمي: المنهج الأحمد، ٢٨/١.

(٣) أبو نعيم: الحلية ١٦٥/٩ ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق ٣٨/٢ والمزي: تهذيب الكمال ٤٥٨/١.

(٤) ابن الجوزي: المناقب /٥٧-٥٨ وأنظر شفيق زيعور: الفكر التربوي عند العلموي /١٣٣-١٣٤.

(٤) ابن الجوزي: المناقب /٥٦-٥٧.

(٥) ابن السعدي: الجوهر المحصل /١٨.

عن الإمام الشافعي «ما حمل أحد محبرة ولا مسَّ قلماً إلا ولك فضل في عنقه منه»[1].

وقد أكرم شيخه بالإكثار من الدعاء له حتى سأله ابنه عن سبب كثرة دعائه للإمام الشافعي، فقال له: «يا بني، كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس»[2].

ومن احترامه لهم ألا يحدث بحديثهم وهم أحياء، إلا إذا ارتحل إليهم وسمع منهم، فسئل مرة أن يملي حديثاً لعبد الرازق، فأجاب: «عبد الرازق حي»[3]. فأراد بذلك أن يأخذ الحديث كما ينبغي أن يأخذه المحدث فيقول لأحد شيوخه: «لا تشتغل بي إنما أريد أن آخذ العلم على وجهه»[4].

٥- أخذ العلم من علماء ثقة:

قال ابن سيرين: «أن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»[5]. تلقى الإمام أحمد علمه على كبار شيوخ عصره والموصوفين بالثقة والحفظ والإتقان، ومنهم يحيى بن معين، الإمام الشافعي، عبد الرزاق الصنعاني، وعلي بن المديني، ووكيع بن الجراح،وغيرهم من العلماء المماثلين لهم منزلة في العلم والورع والتقوى والاتقان.

---

(١) ابن السعدي: الجوهر المحصل/١٨.

(٢) ابن السعدي: الجوهر المحصل/١٨.

(٣) ابن الجوزي: المناقب/١٨٨.

(٤) ابن الجوزي: المناقب/٥٧.

(٥) مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، ١/٨٤. المقدمة، باب بيان أن الاسناد من الدين.

المبحث الثاني: مفهوم الزهد والورع عند الإمام أحمد وأثرهما في التربية السلوكية

مفهوم الزهد والورع

معنى الزهد في اللغة: ضد الرغبة، والحرص على الدنيا، والزهادة في الأشياء كلها ضد الرغبة[1].

أما في الاصطلاح فقد عرف بعدة تعريفات منها: «أخذ قدر الضرورة من الحلال المتيقن الحل، فهو أخص من الورع، إذ هو ترك المشتبه وهذا زهد العارفين»[2].

وعرفه آخرون بأنه: «ترك الفضول التي لا يستعان بها على طاعة الله من مطعم وملبس وغير ذلك»[3]. كما قال الإمام أحمد: «إنما هو طعام دون طعام ولباس دون لباس»[4].

والزهد المشروع: «هو ترك كل شيء لا ينفع في الدار الآخرة، وثقة القلب بما عند الله»[5] كما في الحديث الشريف: «الزهادة في الدنيا ليس بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها بقيت لك»[6].

وعرف الإمام أحمد الزهد بقوله: «هو قصر الأمل واليأس مما في أيدي الناس»[7].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، ١٩٦/٣.

(٢) التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون ١٠٧/٣.

(٣) ابن تيمية: الزهد والورع والعبادة /٧٤.

(٤) أبو يعلى: طبقات الحنابلة ١٠/١ وأنظر ابن الجوزي: المناقب /٢٤٨.

(٥) ابن تيمية: الزهد والورع والعبادة /٧٣.

(٦) الترمذي: السنن ٣/٤ ابواب الزهد، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وابن ماجة: السنن، ١٣٧٣/٢، كتاب الزهد: باب الزهد في الدنيا.

(٧) التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، ١٠٩/٣.

أما الورع في اللغة فهو الكف عن المحارم، والتحرج منه، وتورع من كذا، ثم استعير للكف عن المباح والحلال[1].

وفي الاصطلاح: «اجتناب الفعل واتقاؤه، والكف والامساك عنه، والحذر منه، وهو يعود الى كراهة الأمر والنفرة منه، والبغض له»[2] «فإنه الإمساك عما قد يضر، فتدخل فيه المحرمات والشبهات لأنها قد تضر»[3].

وفسّر ابن تيمية معنى الزهد من خلال مفهوم الورع بقوله: «كل ما يصلح فيه الورع يصلح فيه الزهد، من غير عكس»[4].

أما الامام أحمد فقد تناول الزهد وبين معناه وبين زهد الأوائل من الانبياء ثم الصحابة، ثم التابعين وتابعيهم، أما في كتابه «الورع» فقد أجاب فيه عن مسائل سئل عنها، مدللاً على بعض إجابته من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلّم، والسلف الصالح، وأعطى لنا فكراً تربوياً روحياً في كتابه الزهد، متبعاً منهج السلف، وقد وصف ابن كثير هذا الكتاب بقوله: «لم يسبق إلى مثله، ولم يلحقه أحد فيه»[5].

أولاً: معالجة النفس الانسانية:

جاء منهج الإمام أحمد في الزهد والورع في عصر آثر الترف والبذخ بألوان الترف والثراء، فأعطى نموذجاً مثالياً من حياة العلماء الذين لا يفكرون برفاهيتهم، بل ينظرون إلى الحياة بجدية، فاهتموا بقضايا مجتمعهم الدينية، ليعود بهم إلى الصفاء الروحي الذي عاشه الأسلاف فدعا وسط هذا الترف الى التربية الخلقية متمثلة بالزهد والورع.

بدأ الإمام أحمد بمعالجة النفس الإنسانية، فكان اهتمامه بالجوهر والداخل، ونقى النفس من الأدران والفساد، ليتصل بالله عز وجل، فاعتبر الزهد هو

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ٣٨٨/٨.

(٢) ابن تيمية: الزهد والورع والعبادة /٥١-٥٢.

(٣) ابن تيمية: الزهد والورع والعبادة /٥٠.

(٤) ابن تيمية: الزهد والورع والعبادة /٥٢.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣٤٣/١٠-٣٤٤.

طريق للآخرة مستشهداً بقول أبي واقد الليثي: «تابعنا الأعمال فلم نجد عملاً أبلغ في طلب الآخرة من الزهادة في الدنيا»[1] واعتبر الزاهد من أفضل المؤمنين امتثالاً لما قاله عليه الصلاة والسلام عندما قيل له: «من يؤمر بعدك»: قال: «أن تؤمروا ابا بكر رضي الله عنه تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة»[2].

إن جوهر الإنسان هو قلبه فدعا الإمام الى تطهير القلب، فالقلب كما يقول الرسول -صلى الله عليه وسلّم-: «مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله»[3] فالتزم الإمام التقوى لإصلاح القلب وتطهيره، وهي زاد للمؤمن، وراحة للقلب والبدن، فعند وداعه لابن المديني أوصاه بالتقوى بقوله: «اجعل التقوى زادك»[4] وهي أفضل ما يدخل الجنة قال عليه الصلاة والسلام: «أكثر ما يلج به الإنسان الجنة تقوى الله عز وجل وحسن الخلق»[5] مستشهداً بقوله عليه الصلاة والسلام عندما جاءه رجل يريد السفر قال له: «زودني» فقال: «زودك الله التقوى»[6] وإذا غمر القلب بالتقوى لا بد من الاهتمام بالنية[*] حتى يصلح العمل، فيقول موصيّا ابنه عبد الله: «يا بني أنو الخير، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير»[7]. فالنية هي الصدق الباطني وعندما سئل الإمام: «بما بلغ القوم حتى مدحوا؟ قال: بالصدق وسئل بأي شيء ذكر الأئمة ووصفوا؟ قال: ما هو الا الصدق الذي كان فيهم. وعندما سئل ما هو الصدق؟ قال: «هو الإخلاص» وقيل له ما هو الإخلاص؟ قال الزهد»[8]. مستشهداً بقول الحسن بن أبي الحسن في تفسيره قول الله تعالى: **«وتبتل إليه تبتيلاً»**[9]، قال: «أخلص إليه إخلاصاً»[10].

---

(1) الإمام أحمد: الزهد /٢٥١.

(2) الإمام أحمد: المسند ١٠٩/١.

(3) مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي ١١/٢٧-٢٨، كتاب المساقاة والمزارعة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

(4) ابو نعيم: الحلية ١٧٣/٩ وابن الجوزي: المناقب /٢٠٠ والعليمي: المنهج الأحمد، ١٩/١.

(5) الإمام أحمد: المسند ٣٩٢/٢.

(6) الترمذي: السنن ١٦٣/٥ أبواب الدعوات، باب منه (٤٦) هذا حديث حسن غريب.

(*) النية: «حركة تنزع بها الإرادة نحو شيء معين، سواء «لتحقيقه» أو «لإحرازه» محمد عبدالله دارز: دستور الأخلاق في القرآن /٤٢١.

(7) ابن الجوزي: المناقب /٢٠٠.

(8) المناقب: ابن الجوزي /٢٠٠ وانظر عبد الحليم الجندي: أحمد بن حنبل إمام أهل السنة /١٥٦.

(9) سورة المزمل اية ٨.

(10) الإمام أحمد: الزهد /٣٨٠.

فالصدق يؤدي الى اخلاص النية، ومتى ما أخلصت النية فلا بد من الزهد، فيصبح القلب كريماً يقول: «إن لكل شيء كرماً، وكرم القلب، الرضى عن الله عز وجل»[1].

لذلك فإن التربية السلوكية عند الإمام بنيت على أساس التقوى، فلا بدّ أن يكون في حالة خوف وخشية دائمة من الله وهي تمام التقوى، مدللاً بقول أبي الدرداء: «إن اتمام التقوى، أن يتقي الله العبد في مثقال ذرة، حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال، خشية أن يكون حراماً، يكون حجاباً بينه وبين الحرام»[2] فيخاطب نفسه لتكون دائمة الخشية وثابتة لا تفتر بقوله: «يا نفس، انصبي والا فستحزني»[3]، وكان الرسول يتعوذ من عدم خشوع القلب بقوله عليه الصلاة والسلام: «اللّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع»[4]. وطلب الإمام أحمد لها السلامة بقوله: «اللهم سلّم سلّم»[5] وهذا دعاء الرسول صلى الله عليه وسلّم «اللهم سلم سلم»[6] وسلامتها يكون بوعي القرآن يقول: «عزيز علي أن تذيب الدنيا أكباد رجال وعت صدورهم القرآن»[7] فالقرآن يصفي القلب ويسمو بالفكر ليرتقي بالإنسان ويبعده عن الدنيا مستشهداً بقول وهب بن منبه: «اعون الأخلاق على الدين الزهادة في الدنيا وأوشكها رد اتباع الهوى»[8]. وقول ابن المبارك: «الزهادة في الدنيا راحة للقلب والجسد»[9]. فالقليل من الدنيا – من وجهة نظر الإمام – يجزي بينما كثيرها لا يجزي[10]، والقليل منها يكون أقل

---

(1) ابن الجوزي: المناقب / ٢٠١.

(2) الإمام أحمد: الورع، ٤٨/١.

(3) ابن الجوزي: المناقب /١٩٧.

(4) مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، ٤١/١٧، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب في الأدعية.

(5) الإمام أحمد: الزهد/٤٢٠.

(6) الإمام أحمد: المسند، ٢٧٥/٢.

(7) ابن الجوزي: المناقب /٢٠٠ وأنظر العليمي: المنهج الأحمد ١٩/١.

(8) الإمام أحمد: الزهد /٥١٥.

(9) ابن المبارك: الزهد /٢١٠.

(10) ابن الجوزي: المناقب /١٩٧ وأنظر العليمي: المنهج الأحمد ١١/١.

للحساب[1] لذا فابتعد الإمام عن الدنيا ولم يذكرها[2] لأنه يعتبر فتنتها داء ويجب الحذر منه، فالهدف منها إطاعة الله عز وجل[3] ليفوز بالآخرة فتعلق بالملأ الاعلى، فما يصيبه من ألم فيها فهو هيّن فابتعد عن كل ما يشغله عن الآخرة[4] مما جعله يتوكل على الله، ومفهوم التوكل عنده هو: «قطع الاستشراف باليأس مما في أيدي الناس»[5].

وحتى يبتعد الإمام عن الشهرة ومزالقها التجأ في بعض الأحيان الى العزلة والخلوة فهي أروح للقلب[6]، وفضل المكان الذي لا يكون فيه أحد من الناس فتمنى أن ينزل في شعب من شعاب مكة حتى لا يعرفه أحد[7]. فالشهرة ابتلاء من الله لعباده امتثالاً لما قاله عليه الصلاة والسلام عندما جاءه اعرابي فقال: «يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: رجل جاهد بنفسه وماله ورجل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره»[8]. ولقوله صلى اللّه عليه وسلم: « إن أغبط أوليائي عندي مؤمنٌ خفيفُ الحاذ، ذو حظٍ من الصلاة... وكان غامضاً في الناس لا يشار اليه بالأصابع»[9] فالخلوة تبعده عن مديح الناس لأنَّ مديحهم استدراجاً له[10]، فكره الإمام اللقاء لأنّه يشغله عن أمر الآخرة بقوله: «يتزين لي وأتزين له، كفى بالعزلة علماً»[11].

---

(١) ابن الجوزي: المناقب/ ١٩٨.

(٢) ابن الجوزي: المناقب /٢٤٤، وأنظر العليمي: المنهج الأحمد ١/١٢.

(٣) الإمام أحمد: الورع، ١/٧ وأنظر ابن الجوزي: المناقب /٢٠٧.

(٤) الإمام أحمد: الورع، ١/٧.

(٥) ابن الجوزي: المناقب /١٩٨.

(٦) ابن الجوزي: المناقب /٢٨٠ والذهبي: سير أعلام النبلاء ١١/٢٢٦.

(٧) الذهبي: سير الأعلام، ١١/٢١٦، وتاريخ الإسلام /٢١. ابن الجوزي: المناقب ٢٨١.

(٨) البخاري: صحيح البخاري، ٤/١٢٨، كتاب الدعوات، باب العزلة راحة من خلاط السوء.

(٩) الترمذي: السنن، ٤/٥-٦، أبواب الزهد، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه، قال: الترمذي هذا حديث حسن، أنظر الإمام أحمد: المسند ٥/٢٥٥.

(١٠) الإمام أحمد: الورع، ٢/١٥٢. وابن السعدي: الجوهر المحصل /٢١.

(١١) ابن الجوزي: المناقب /٢٨١.

٢- ورعه وزهده في مجال العلم:

اهتم الإمامُ أحمد بتوافر النية في طلب العلم، فالعالم المسلم يتحلى بتربية خلقية في طلبه العلم، فعندما سُئلَ الإمام عن توافر النية أجاب «هذا شرط شديد، وقوله: «أما للّه فعزيزٌ، ولكنّ حبب إليّ شيء فجمعته»[1].

ولا بد لطالب العلم من الخشوع والخشية للّه «ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم بالخشية»[2] ومما يدلُّ على خشيته وخشوعه أنه عندما كان يُسئل عن مسألة لا يعلمها يُجيب بقوله: «لا أدري»[3].

ومن ورع الإمام أحمد في علم الحديث أنه كان يتشدد في الإسناد وأحياناً يتساهل، فإذا كان الحديث في الترغيب والترهيب، وفضائل الأعمال، فيتساهل في إسناده، ربما يكون هذا ورعاً منه. أما في مجال الحلال والحرام فيتشددوا في ذلك[4]. لذا فهو يكتب الحديث من ستة وجوه أو سبعة لضبطه[5]. وهذا دليل على عناية الإمام بالسنة، واهتمامه بالتثبت من السند لتمييز الحديث القوي من الضعيف.

ومن عظيم ورعه أنّه لا يحدِّث إلا من كتابٍ مع شهرته بالحفظ[6]. وحتى تكون للعلم الفائدة المرجوة منه، دعا الإمام الى ممارسة التعليم كما ورد في قول معاذ بن جبل: «اعلموا ما شئتم أن تعلموه فلن تؤجروا حتى تعملوا»[7] وقول أبي الدرداء:«أن أخوف ما أخاف إذا لقيت ربي تبارك وتعالى أن يقول لي قد علمت فماذا عملت فيما علمت»[8]. فالعالم الصادق في نظره من يزهد في الدنيا ويقبل على الآخرة[9] لذا لابد أن يكون للعالم وردُ من الليل، ويستغرب من أصحاب العلم الذين لا يكون لهم ورد في الليل[10].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣٤٤/١٠.

(٢) الإمام أحمد: الورع، ٨٠/١.

(٣) الإمام أحمد: الورع، ١٠٣/٢.

(٤) أنظر ابن العماد: شذرات الذهب، ٩٧/٢-٩٨.

(٥) ابن الجوزي: المناقب /٥٨.

(٦) ابن الجوزي: المناقب /٢٦٠.

(٧) الإمام أحمد: الزهد /٢٦٥.

(٨) الإمام أحمد: الزهد، ١٩٩.

(٩) الإمام أحمد: الورع /١٢٢.

(١٠) العليمي: المنهج الأحمد ٢٠/١.

٣- ورعه وزهده في السلطة والسلطان والصدقات:

ابتعد الإمام أحمد عن السلطة والسلطان مستشهداً بقولِ مطرف بن الشخير في دعائه: «اللهّم إني أعوذ بك من شر السلطان وشرٍ ما تجري به أقلامهم»[١] فلم يقبل صلة السلطان وهداياه فامتنع من قبول هدية المتوكل التي بعثها له ففرقها قبل أن يتمّ ليلته[٢]، وابتعد عمّا له علاقة بأموالهم. أصلح عبد الله دار أمّه وكان الإمام يأخذ منها درهماً بحقّ الميراث فتركه الإمام تورعاً[٣]، ويعلّق أبو يعلى على ذلك بقوله: «إنما تورّع من أخذ حقّه من الأجرة خشية أن يكون أنفق على الدار مما يصلُ إليه من مال الخليفة»[٤]، ومكث الإمام ثلاثة أيام دون طعام فخبز له أهله بالعجلة في تنور صالح فأبى أن يأكل لأن صالحاً قد أخذَ من أموالهم[٥]، ورفض الإمام الصدقات فعندما بعث له موسى بن حماد ثلاثة آلاف دينار من ورثته الحلال ردّها الإمام عليه[٦]، مستشهداً بموقف أبي ذر عندما بعث له حبيب بن أبي سلمة وهو أميرُ الشام ثلاثمائة دينار ردها عليه[٧]، وعندما أعطاه أحمد الدورقي ألف دينار قال له[٨]: «ورزقُ ربكَ خيرٌ وأبقى»[٩] فشجع أولادَهُ على العمل مستشهداً على ذلك بفعل داود عليه السلام الذي كان لا يأكل إلا من عمل يده فقال عليه الصلاة والسلام: «إن داوْد عليه السلام كان لا يأكلُ إلا من عمل يده».[١٠]

لقد ابتعد الإمام عن كلِّ مظهر من مظاهر الغنى، معظماً الصبر على الفقر بقوله: «ما أعدل بالصبر على الفقر شيئاً، تدري الصبر على الفقر أيّ شيء هو؟ وقال: كم بين من يُعطى من الدنيا ليفتتن، إلى آخر تزوى عنه»[١١] وللوصول

(١) الإمام أحمد: ا لزهد /٢٤٦.

(٢) أبو الفضل صالح: سيرة الإمام أحمد، ٢/٩٥-٩٧، العليمي: المنهج الأحمد ١/٢٧-٢٨.

(٣) العليمي: المنهج الأحمد ١/١٢.

(٤) أبو يعلى: طبقات الحنابلة ١/١٠.

(٥) أبو نعيم: الحلية ٩/١٧٧ وأنظر ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق /٢/٣٩.

(٦) العليمي: المنهج الأحمد ١/١١.

(٧) الإمام أحمد: الزهد /٢١٤.

(٨) الذهبي: سير الأعلام ١١/٢٠٧.

(٩) سورة طه آية ١٣١.

(١٠) البخاري: صحيح البخاري، ٢/٦، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده.

(١١) ابن الجوزي: المناقب /٢٧٣.

إلى الإيمان الحقيقي لابدّ أن يكون الفقر أحبُّ إليه من الغنى مستشهداً بقول ابن مسعود: «لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان . . . .، حتى يكون الفقر أحبّ إليه من الغنى»[1] لاعتباره أن هذه الدنيا هي فتنة للإنسان[2]. فالغنى غالباً ما يجعل الإنسان يبطر وينسى نعمة الله عليه فيتنحى به عن الإيمان الحقيقي.

٤- ورعه وزهده في الطعام واللباس:

إنّ أكل الحلال هو أساسٌ لاطمئنان القلوب وليونتها[3]، ولا يسلم للإنسان الحلال حتى يكونَ هناك حاجزٌ من الحلال بينه وبين الحرام[4]، فاكتفى الإمام بالقليل من الطعام فلا يأكل إلا الكسرة يصب عليها الماء ويضع الملح ويأكلها[5].

وكان قوت أهله مقدار ما تبيعه والدة صالح من الغزال بدرهمين[6].

ابتعد الإمام عن الشبهات، فلا يطعم عياله إلا طيباً طلب منه ولده زبيباً فقال له: «اذهب فخذ من البقال بحبه»[7]. فالإبتعاد عن الشبهات يؤجر عليها المرء بقوله: عندما سئل أيؤجر الرجل في تركه الشبهات؟ قال: «كيف لا يؤجر وابن عمر يقول: «ما شبعتُ من طعام منذ أربعة أشهر»[8]، فكان الإمام يمكثُ دون طعامٍ متبعاً السلف، فأبو ذر يمكث ثلاثين يوماً دون طعام إلا ماء زمزم وابن الزبير يمكث سبعة أيام[9]، والإمام أتته ألوان الطعام والفاكهة فما ينظر إليها، ولا يذوقها بل أنّه يواصل الصيام[10]، فكان خوف اللّه يمنعه من أكل الطعام والشراب[11]، قال الحسن: «الرجاء والخوف مطيتا المؤمن»[12] ويشعر بالغبطة والفرح لعدم وجود شيء عنده[13].

---

(١) الإمام أحمد: الزهد، /٢٣١.

(٢) الإمام أحمد: الورع ١/٧.

(٣) ابن الجوزي: المناقب /١٩٦.

(٤) الإمام أحمد: الورع، ١/٤٤.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١١/٢٠٨.

(٦) ابن الجوزي: المناقب /٢٤٥.

(٧) ابن الجوزي: المناقب /٢٤٧ والذهبي: سير الأعلام: ١١/٣٢٥.

(٨) الإمام أحمد: الزهد /٢٨٠.

(٩) الإمام أحمد: الورع، ١/٧٩.

(١٠) أبو نعيم: الحلية /٩/٢١٠.

(١١) الذهبي: سير الأعلام ١١/٢١٥.

(١٢) الإمام أحمد: الزهد /٣٧٦.

(١٣) ابن الجوزي: المناقب، /٢٣٤.

وترك الإمام اللباس تواضعاً فامتثل قوله عليه الصلاة والسلام: «من ترك أن يلبس صالح الثياب وهو يقدر عليه تواضعاً لله تبارك وتعالى دعاه الله تبارك وتعالى على رؤوس الخلائق حتى يخيّره الله تعالى في حلل الإيمان أيتهن شاء»[1]، مستشهداً بقوله صلى الله عليه وسلم: «ليس لابن آدم حقّ في سوى هذه الخصال: بيت يسكنه، وثوب يواري عورته، وجلف الخبز والماء»[2] ففلسفة الإمام في الزهد الإبتعاد عن الدنيا ولفظها من رئاسة وأموال متعففاً.

(١) الإمام أحمد: المسند ٤٣٨/٣.

(٢) الإمام أحمد: المسند ٦٢/١.
الترمذي: السنن، ٣/٤، أبواب الزهد، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا، هذا حديث (صحيح).

المبحث الثالث: أهداف التعليم الإسلامي، وخصائصه، ومناهجه، وطرق تدريسه عند الإمام أحمد بن حنبل:

أولاً: أهداف التعليم عند الإمام أحمد:

التعليم الإسلامي له أهدافٌ ومقاصدُ، فهو لم يكنْ عبثاً، أو هوى في النفس وتطلعاتٍ دنيويّة، فالشيخ لا بدَّ وأن يكون واضعاً نصبَ عينيه مقاصد لتحقيق ما يصبو إليه من الإرتقاء بالمجتمع الإسلامي ليكون مجتمعاً ربانياً مربياً على الفضائل، بعيداً عن الرذائل.

١- تحقيق مرضاة الله عزّ وجل أو ابتغاء مرضاة الله:

اهتم الإمام أحمد بالرقابة الذاتية في تعليمه، فصلته بالله دائمة في سره وعلانيته، فامتثل قوله تعالى «**ولكن كونوا ربانيين**»[1] فوجه قلبه وضميره إلى الله. ففي تحديثه قصد وجه الله، وشهد له ابن معين بقوله: «ما رأيت من يحدث لله إلا ثلاثة، وذكر منهم أحمد بن حنبل»[2].

٢- تهذيب الأخلاق:

على الشيخ أن لا يهتمّ فقط بإلقاء المعارف على طلابه، بل لا بد أن يكون له اهتمام بسلوكهم من أجل بناء جيلٍ قوي من الناحية الفكرية والسلوكية معاً. لذا فهو قدوةٌ لطلابه فكراً وخلقاً، فكانوا يتعلمون منه الأخلاق كما يتعلمون العلم، فقد روى أبو بكر المطوعي بقوله: «اختلفتُ إلى أبي عبدالله ثنتي عشرة سنة، وهو يقرأ المسند على أولاده، فما كتبتُ منه حديثاً واحداً إنما كنتُ أنظر إلى هديه وأخلاقه»[3]. فاهتم بأخذ الأخلاق من الإمام اهتمامه أخذ الحديث.

---

(١) سورة آل عمران آية ٧٩.

(٢) الذهبي: سير الأعلام. ١١/١٩٧ وأنظر تاريخ الإسلام /١٤.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١١/٣١٦ وأنظر العليمي: المنهج الأحمد ١/٢٦.

٣- طلب النافع من العلم:

لم يكن العلم للهو أو إضاعة الوقت أو اكتساب مال أو جاه، لكن العلم عند الإمام سموٌ في الهدف، وعُلوٌ في الخلق، وتحقيق فائدة لنفسه ولأمته، فالإمام حرص حرصاً شديداً على ذلك، فقام برحلاته العلمية المتعددة، قال أحمد الدورقي: «لما قَدم أحمد بن حنبل من عند عبد الرزاق، رأيتُ به شحوباً بمكة، وقد تبين عليه النصب والتعب، فكلمتُه، فقال: «هين فيما استفدنا من عبد الرزاق»[1]، ولم يمنعه الحياء من السؤال وطلب العلم، فرفع حجاب الحياء عن السؤال للفهم والإدارك، فالإمام دائم الإستفادة من علماء عصره يسألهم فيجيبوه، ففي حديث رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «أخنع اسم عند اللّه رجلٌ تسمّى ملك الأملاك»[2] قال عبداللّه: «قال أبي» سألتُ أبا عمر الشيباني عن أخنع اسم عند اللّه فقال: «أوضع اسم عند اللّه عز وجل»[3] فكان يسأل عن معاني الحديث من رجالات الحديث أنفسهم.

٤- الإخلاص للعلم:

لا تتحقق الفائدة من العلم إلا بالإخلاص فالإمام أحمد أخلص للّه في علمه، مقدماً ومؤثراً إيّاه، مقبلاً على طلبه، تاركاً ما يلهيه عنه، غير متشاغل بتجارة أو كسب حتى بلغ منه ما أراد[4]، ومن إخلاصه أخذه العلم عن الأكابر، فتلقى العلم على أشهر شيوخ عصره من محدثين وفقهاء[5]، وسماعه من الأستاذ نفسه دليل على إخلاصه، وفي كيفية أخذه الحديث أي الإسناد، فيتساهل في الإسناد إذا كان الحديث في فضائل الأعمال والترغيب، أما في الحدود والكفارات والفرائض فيشدد على ذلك[6]، وطريقةُ كتابة الحديث من أكثر من وجه[7]، وكتابته إيّاه عمن ثبت صدقه وديانته[8].

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١٥/١١.

(٢) مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٢١/١٤، كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الاملاك.

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٢١٩/٧.

(٤) العليمي: المنهج الأحمد، ١٧/١.

(٥) انظر الفصل الثاني من هذا البحث، مكانة شيوخ الإمام أحمد العلمية.

(٦) ابن العماد: شذرات الذهب ٩٧/٢-٩٨.

(٧) الذهبي: سير الأعلام ١٨٧/١١ وأنظر تاريخ الإسلام /٩.

(٨) السبكي: طبقات الشافعية، ٣١/٢.

ومن صدق وإخلاص الإمام عدم التصنع أو التكلف في أخذ العلم، جاء الإمام أحمد ويحيى بن معين إلى قتيبة بن سعيد عند قدومه بغداد، فتذاكروا الحديث، فقام الإمام وجلس بين يدي قتيبة، فقال قتيبة: «يا أبا عبدالله، إجلس مكانك» فقال الإمام: «لاتشتغل بي، إنما أريد أن آخذ العلم على وجهه»[1]، فإذا تحقق هذا الهدف عند الإمام، فمن المحتمّ أن يبتعد عن المراءاة، يقول: «إظهار المحبرة من الرّياء»[2]، والإخلاص منزلة عالية لقوله تعالى: «ألا لله الدين الخالص»[3] وقوله صلى الله عليه وسلم: «من تعلم علماً لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار»[4].

٥- نشر العلم والمحافظة على السنة:

جاء الإسلام لينشر الدين الإسلامي بين الناس، قال تعالى: «**وإذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه**»[5] وقال عليه السلام «بلغوا عني ولو آية»[6] وقول عمر بن عبد العزيز: «ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتي يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً»[7].

وقد اتبع الإمام أحمد ما أراده الإسلام من العلم فعند ذهابه إلى الصلاة يحضر معه كتاب الأشربة والإيمان وعلى استعداد لتلقي الأسئلة[8]، لذا رفض أن يأخذ عليه عرضاً دنيوياً زائلاً فيقول: «لا تكتبوا العلم عمن يأخذ عليه عرضاً من الدنيا»[9]. وفي نشرة للعلم حافظ الإمام أحمد على السنة النبوية فلا يتحدث بكلام المعتزلة يقول لإبنه عبدالله: «عليكم بالسّنة والحديث» وينهاهم عن الخوض في الجدال والمراء في الدين[10]

---

(١) ابن الجوزي: المناقب /٥٧.

(٢) ابن الجوزي: المناقب /١٩٥.

(٣) سورة الزمر: آية ٣.

(٤) الترمذي: السنن ١٤١/٤ أبواب العلم، باب في من يطلب بعلمه الدنيا.

(٥) سورة آل عمران آية ١٨٧.

(٦) الترمذي: السنن. ١٤٧/٤ أبواب العلم. باب ما جاء في الحديث عن بني اسرائيل، وقال عنه حديث حسن صحيح. قال الالباني (صحيح)، الالباني: صحيح سنن الترمذي ٣٤٠/٢.

(٧) البخاري: صحيح البخاري، ٣٠/١ كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم.

(٨) إبن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ٣٠٢/١.

(٩) الشعراني: الطبقات الكبرى، ٥٦/١.

(١٠) الذهبي: تاريخ الإسلام /٢٩.

ثانياً: خصائص التعليم الإسلامي:

للتعليم الإسلامي خصائص وسمات تميّزه عن غيره، وقد أوضحها الإمام أحمد وهي:

١- تنوع مصادر التلقي عن الشيوخ:

طلب الإمام أحمد العلم من معظم شيوخ عصره المشهورين، في معظم مناطق العالم الإسلامي، فرحل إلى البصرة سنة ست وثمانين ومائة وسنة تسعين واربع وتسعين ومائة، وسنة مائتين، فسمع من المعتمر بن سليمان، وبشر بن المفضل، ومرحوم، وزياد بن الربيع، وابن أبي عدي. ونزل عند يحيى بن سعيد، وعبد الصمد وأبي داود الترمذي وغيرهم[1] هذه الرواية تبين تنوع مصادر تلقي العلم عن الشيوخ. أما تنوع الأماكن، سمع الإمام من ابن عيينة، وابن عليّة وهشيم بن بشير وسمع من كثير من الكوفيين والبصريين، وأهل الحرمين واليمن والشام والجزيرة[2] وأخذ العلم عن عدة فرق، فعندما سئل الإمام عن أخذ العلم عن الجهمي والقدري وغيرهما من أهل الأهواء؟ قال: نعم إذا لم يكن يدعو إليه، ويكثر الكلام فيه، فإما إذا كان داعياً فلا»[3].

٢- الملازمة أو المصاحبة:

اعتاد علماء الإسلام مصاحبة شيوخهم في تلقيهم العلم عنهم، فهي تقويّ الأواصر وتزيد الفائدة ولقد لازم الإمام أحمد شيوخه، ومنهم هشيم الذي لزمه الإمام سنة ثمانين ومائة واحدى وثمانين وثنتين وثلاث وثمانين ومائة[4]، وكذلك صاحبه ولزمه تلاميذه ومنهم عبد الملك بن عبد الحميد الميموني (ت ٢٧٤هـ) يقول: «صحبت أبا عبدالله على الملازمة من سنة خمس ومائتين إلى سنة سبع وعشرين ومائتين فصحبه اثنين وعشرين سنة»[5].

---

(١) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٢٢٨/٧، وانظر ابن الجوزي: المناقب /٢٧، والمزي: تهذيب الكمال ٤٤٦/١.

(٢) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق ٣٢/٢.

(٣) ابن أبي حاتم: المجروحين. ٨٢/١.

(٤) أبو الفضل: سيرة الإمام أحمد ٣٣/١-٣٤. وأنظر أبا نعيم: الحلية ٩ / ١٦٤.

(٥) ابن حجر: تهذيب التهذيب. ٣٥٥/٦. وانظر العليمي: المنهج الأحمد /١٧٠.

٣- الإهتمام بالحفظ:

لا بد من الحفظ في العلم وخاصة علم الحديث. فالإمام أحمد كان كثير الحفظ، وهناك روايات عديدة تبين ملكة الحفظ القوية عند الإمام، الصادرة عن ذكائه يقول أبو زرعة لابنه عبدالله: «أبوك يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له وما يدريك؟ يقول: ذاكرته»[١]، وقال ابنه عبدالله: «كتب أبي عشرة آلاف حديث لم يكتب سواداً في بياض إلا حفظه»[٢]، وقال سعيد بن عمرو: «يا أبا زرعة، أأنت أحفظ أم أحمد؟ قال: بل أحمد، قلت: كيف علمت؟ قال: وجدت كتبه ليس في أوائل الأجزاء اسماء الذين حدثوه، فكان يحفظ كلُّ جزء سمعه، وأنا لا أقدر على هذا»[٣] وغيرها من الروايات.

٥- اقتضاء العلم العمل:

العلم دون عمل لا فائدة منه، وما الفائدة من العلم إن لم يكن خلقاً مغروساً في النفس الإنسانية، فالفكر يجب أن يترجم إلى سلوك، قال تعالى: «**ياأيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون**»[٤] ويقول معاذ بن جبل «اعلموا ما شئتم أن تعلموه فلن تؤجروا حتى تعملوا»[٥] فاعتبر الإمام أحمد أن العلماء هم حملة الرسالة السماوية فإذا ما فسدوا فسد بفسادهم الناس. فكان متبعاً للسنة، عاملاً بمقتضاها. يقول عن نفسه: «ما كتبتُ حديثاً عن النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا وقد عملت به حتى مربي في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم «احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً» فأعطيت الحجام ديناراً حين احتجمت وتسرى واختفى ثلاثاً»[٦] فطبق الإمام أحمد هذا المبدأ من مبادئ التربية الإسلامية.

٦- الإستمرارية في التعليم:

إن الإسلام لم يضع حداً معيناً للتعليم فقد جعل التعليم مطلباً للإنسان ما دام حيّاً لأن العلوم بحر زاخر، إذا لم يستمر الإنسان في طلب العلمْ وزاد فيه، لا

(١) ابن الجوزي: المناقب /٥٩ وأنظر العليمي: المنهج الأحمد ١/١٨، وأبن قاضي شهبة. طبقات الشافعية. ١/٥٧.

(٢) السبكي: طبقات الشافعية ٢/٣١.

(٣) الذهبي: سير الأعلام، ١١/١٨٧.

(٤) سورة الصف آية ٢.

(٥) الإمام أحمد، الزهد/١٩٩.

(٦) الذهبي: تاريخ الإسلام /٢١ وأنظر ابن السعدي: الجوهر المحصل /٢١ وأنظر العليمي: المنهج الأحمد ١/٢٤.

بد أن يتلاشى. وقد طبق الإمام هذا المبدأ التربوي الإسلامي بقوله: «أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر» وقوله أيضاً: «مع المحبرة إلى المقبرة»[1].

٧- التبكير في طلب العلم:

شغف الإمام أحمد بالعلم، منذ صغره، وبكّر في طلب الحديث وعمره ست عشرة سنة[2]، مما زاد من ملكة الحفظ عنده، حتى أنه جمع مادة علمية غزيرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشهر علماء عصره.

ثالثاً: المناهج التعليمية عند الإمام أحمد بن حنبل:

تشكل المناهج التعليمية دوراً كبيراً في العملية التربوية، فلا يستطيع المعلم القيام بواجبه دون معرفة المناهج التدريسية التي سوف يقوم بتعليمها.

والمناهج التعليمية في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- ركزت على القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وبقيت مستمرة حتى عصر الإمام أحمد. لذا ركز الإمام أحمد على القرآن الكريم أولا، فعندما سئل: «ايما أحبّ إليك، أبدأ ابني بالقرآن أو بالحديث؟ قال: لا بالقرآن، فقيل: أعلّمه كله؟ قال: لا إلا أن يعسر عليه فتعلمه منه، ثم قال: «إذ قرأ أولاً تعود القراءة ولزمها»[3] واهتم الإمام بنوعية القراءة فاعتبر القراءة بالألحان بدعة[4].

وفضّل القراءةالسهلة [5] وكره الهمز «لأن الكوفيين أصحاب همز وقريش لا تهمز»[6]. بعد القرآن تأتي السنة النبوية، والأثر عن الصحابة وتابعيهم.

يقول الإمام: «عليكم بالسنة والحديث»[7] فهو لايتكلم إلا من الكتاب الكريم والسنة النبوية، أو عن صحابة رسول الله أو تابعيهم، أما ماعدا ذلك فالكلام لا

---

(١) ابن الجوزي:المناقب ٣١ وأنظر العليمي: المنهج الأحمد ١/ ١٧.

(٢) ابن الجوزي: المناقب /٢٣ وأنظر ابن السعدي: الجوهر المحصل /١٢.

(٣) أبو يعلى: طبقات الحنابلة ١/ ٢١٤. وأنظر العليمي: المنهج الأحمد ١/ ١٧١.

(٤) الذهبي: سير الأعلام ١١/ ٢١٧.

(٥) أبو يعلى: طبقات الحنابلة، ١/ ٨٤.

(٦) أبو يعلى: طبقات الحنابلة ١/ ٩٤.

(٧) الذهبي: تاريخ الاسلام /٢٩.

يحمد عنده[1]، جاء أبوسعيد البلخي إلى الإمام فسأله، فأجاب الإمام، وعندما سأله مسألة لا تعني الإمام، ردّ عليه بقوله: «يا هذا مجلسنا مجلس مذاكرة حديث رسول الله صلى عليه وسلم وحديث أصحابه، فأما الذي تريد أنت فعليك بابن أبي دؤاد»[2] واهتم الإمام بتفسير الحديث[3]، والفقه. فعندما كان في مسجد الخيف علّم الناس الفقه والحديث والمناسك[4] وأمور العقيدة من خلال مناظراته وعند خروجه إلى الصلاة يأخذ معه كتاب الإيمان والأشربة[5] مبتعداً عن علم الكلام بقوله: «لا يفلح من تعاطى الكلام ولا يخلو من أن يتجهم» ويحذر الإمام منه[6] وهناك كثير من الروايات الواردة عن الإمام والتي توضح ذلك[7]. واهتم الإمام بعلم السلوك فيعلم تلاميذه الأخلاق من خلال سلوكه[8] فاهتمامه بأمر الآخرة وابتعاده عن أمر الدنيا هو جوهر مناهجه.

رابعاً: طرق التدريس عند الإمام أحمد:

كانت للإمام أحمد طرق تدريسيّة اتبعها في نشره للعلم وهي:-

١- القراءة:

ألقى الإمام أحمد معارفه في مجال الحديث على طلابه من خلال القراءة فقرأ مسنده على ولديه وحنبل بن اسحق[9]، و قال أبو بكر المطوعي: «اختلفت إلى أبي عبدالله اثنتي عشرة سنة وهو يقرأ المسند على أولاده»[10].

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام /٢٨.

(٢) أبو نعيم:الحلية ٩٠ / ١٨٦.

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٢١٩/٧.

(٤) أبو نعيم: الحلية، ١٦٤/٩ والمزي: تهذيب الكمال، ٤٥٨/١.

(٥) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٣٠٣/١.

(٦) الذهبي: سير الأعلام ٢١٦/١١. وتاريخ الإسلام /٢٨.

(٧) أنظر الذهبي: تاريخ الاسلام ٢٩-٣٠.

(٨) العليمي: المنهج الأحمد ٢٦/١.

(٩) السبكي: الطبقات الشافعية ٣١/٢ أنظر ابن السعدي: الجوهر المحصل /٤٩. والداوودي: طبقات المفسرين ٧٢/١.

(١٠) الذهبي: سير الأعلام ٣١٦/١١ وأنظر العليمي: المنهج الأحمد ٢٦/١.

٢- الحفظ:

حفّظ الإمام أحمد تلاميذه الحديث فعن ابراهيم بن خالد قال: «كنا نجالس أحمد ، فيذكر الحديث، ونحفظه، ونتقنه»[١].

٣- المذاكرة:

حتى يحفظ العلم لا بد من مذاكرته، فالإمام أحمد ذاكر وكيعاً بحديث سفيان[٢] ووكيع يذهب أحياناً مع الإمام أحمد في العتمة فيقفان على الباب لمذاكرة الحديث[٣] وكذلك أبو زرعة ينزل عند الإمام أحمد فيذاكره كثيراً فيقول: «ما صليت اليوم غير الفريضة، استأثرت بمذاكرة أبي زرعة على نوافلي»[٤] وتذاكر الحديث أيضاً مع اسحق بن راهوية ويحى بن معين وأصحابهم في العراق[٥].

٤- الإملاء:

تبع الإمام أحمد طريقة الإملاء الشائعة في عصره يقول صالح عن الإمام: «دخل يوماً إلى منزلي فدعاني ثم أملى عليٌ حديث الأحنف بن قيس»[٦] وقال المروزي: «سمعت أبا عبدالله يقول: «كنت أذاكر وكيعاً بحديث الثوري، فكنت أذاكره، فربما ذكر تسعة عشرة حديثاً فأحفظها، فإذا دخل قال لي أصحاب الحديث، أمل علينا فأمليها عليهم»[٧].

٥- المناظرة والسؤال:

انتشرت المناظرة والسوال في عصر المأمون نتيجة لإنتشار حركة الاعتزال والخلاف القائم بينها وبين المذاهب الأخرى[٨] ولهذه الطريقة أهمية يقول عنها الزرنوجي: «مطارحة ساعة خير من تكرار شهر»[٩] واتبع الإمام أحمد هذه

---

(١) النووي: تهذيب الأسماء واللغات ١/١١١.

(٢) إبن الجوزي: المناقب /٦١ والذهبي: تاريخ الإسلام /١٠.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية /٢/٢٨ وابن السعدي: الجوهر المحصل /٣٧.

(٤) الذهبي: سير الأعلام /١١/٢٢٨.

(٥) البغدادي: تاريخ بغداد ٤/٤١٩.

(٦) أبو الفضل: سيرة الإمام أحمد ١/٤٢.

(٧) الذهبي: تاريخ الإسلام /١٠، وأنظر سير الأعلام، ١١/١٨٦.

(٨) الشيباني: فلسفة التربية الإسلامية /٤١٦.

(٩) الزنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم /٨٨.

الطريقة في محنته ومواجهته المعتزلة وستتناولها الباحثة في الفصل الأخير أن شاء الله، وكذلك مناظراته مع الإمام الشافعي ومنها مناظرته في تارك الصلاة، قال الشافعي: «يا أحمد أتقول إنه يكفر؟ قال أحمد: نعم. الشافعي: إذا كان كافر فبم يسلم؟ قال: يقول: لا إله إلا الله محمداً رسول الله. الشافعي، فالرجل مستديم لهذا القول لم يتركه، قال: يسلم بأن يصلي. الشافعي: صلاة الكافر لا تصح ولا يحكم بالإسلام بها. فسكت الإمام أحمد»[1]. «فالمناظرة تقوم على أساس الحوار والنقاش بالأسئلة والأجوبة للوصول إلى حقيقة من الحقائق لا تحتمل الشك»[2] واتبع طريقة السؤال فيما عدا المناظرات، فعند خروجه للمجلس لا يتكلم إلا إذا سئل»[3]، ويخرج معه كتاب الأشربة والإيمان لتلقي الأسئلة[4]. ومن الذين يسألونه محمد بن نصر المروزي يسأله في الحديث والفقه[5]، وكان لا يحبّ أن يدوّن فتواه ورأيه[6] وسمح لبعضهم تدوينها حياءاً منه[7].

---

(١) السبكي: طبقات الشافعية ٢/٦١ وأنظر شفيق زيعور، الفكر التربوي عند العلموي/٢١٠.

(٢) الشيباني: فلسفة التربية الإسلامية /٤١٥.

(٣) الذهبي: سير الأعلام ١١/٢١٨.

(٤) ابن أبي حاتم: المجروحين ١/٣٠٣.

(٥) الذهبي: تاريخ الاسلام/١٦.

(٦) ابن الجوزي: المناقب / ١٩١.

(٧) العليمي: المنهج الأحمد ١/١٧١.

الفصل الرابع

محنة الإمام أحمد بن حنبل وأثرها التربوي

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: نظرة تاريخية عن محنته.

المبحث الثاني: ثبات الإمام في مواجهة الانحراف العقائدي ودعوته للعودة للأصول الصحيحة دون تحريف أو تبديل والأثر التربوي لذلك.

المبحث الثالث: أهم الآثار التربوية للمحنة.

المبحث الأول: نظرة تاريخية عن فتنة القول بخلق القرآن

بدأ الخلاف بين أصحاب الحديث وأصحاب الكلام في مدينة البصرة عندما اعتزل واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ) حلقة شيخه الحسن البصري، وبدأ يقرر أصولاً بعيدة عن مذهب السلف، وسمي أتباع واصل بالمعتزلة[1]. أما القول بخلق القرآن فأول من قال به الجعد بن درهم (ت ١١٨هـ) فقتله خالد القسري والي العراق بالكوفة. واستمر القول بخلق القرآن لدى اتباع الجهم* بن درهم من المعتزلة ومنهم الجهم بن صفوان (ت ١٢٨هـ)[2]. وفي زمن الرشيد في دولة بني العباس ظهر بشر بن غياث المريسي (ت ٢١٨هـ)، وقال بخلق القرآن، ولكن الرشيد توعده بقوله: «بلغني أن بشر بن غياث يقول: إن القرآن مخلوق، ولله علي إن أظفرني به لأقتلنه» وظل بشر متوارياً الى أن مات الرشيد، فدعا الى القول بخلق القرآن فزين المعتزلة للمأمون القول بخلق القرآن فاعتنقه[3]، فاتخذ المأمون الاعتزال وانحرف المعتزلة به، فكتب الى اسحق بن ابراهيم صاحب الشرطة ليدعو الناس لهذه المقالة[4]. وأول من امتحنه عفّان بن مسلم فلم يجب فقُطع عطاؤه، وكان يعطى في الشهر الف درهم[5]. أصبح الإعتزال مذهب الدولة الرسمي يدعو اليه المأمون وابن أبي دؤاد**، وكانت فتنة خلق القرآن هي السائدة في دولة المأمون والمعتصم والواثق. أما المتوكل فأظهر السنة وأوقف المحنة[6].

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل ٤٦/١.

* وفي كتاب الإمام أحمد الرد على الجهمية، قصد بالجهمية المعتزلة. انظر عقائد أهل السلف: جمع علي سامي النشار وآخرون/٢٥.

(٢) أبو سعيد الدارمي: الرد على الجهمية /١٧.

(٣) ابن الجوزي: المناقب /٣٠٨-٣٠٩ وأنظر الذهبي: سير الأعلام ٢٣٦/١١-٢٣٧ (وابن كثير: البداية والنهاية ٣٤٦/١٠.)

(٤) العليمي: المنهج الأحمد: ٣١/١.

(٥) السبكي: طبقات الشافعية ٤٣/٢.

** أحمد بن أبي دؤاد: القاضي الكبير، أبو عبد الله، أحمد بن فرج بن حريز الإيادي البصري ثم البغدادي (ت ٢٤٠ هـ). معتزلي، عدو أحمد بن حنبل، كان داعية الى خلق القرآن، وفي عهد المتوكل صادر أمواله وعزله عن القضاء. الذهبي: سير الأعلام، ١٦٩/١١-١٧١.

(٦) أبو الحسن الندوي: رجال الفكر والدعوة في الاسلام /١٢٠-١٢١.

الدراسات السابقة التي تناولت محنة الإمام أحمد بن حنبل

تناولت كتب التراجم والتاريخ والدراسات الحديثة، التي تحدثت عن الإمام أحمد بن حنبل، تناولت المحنة، فمعظم الروايات في كتب التراجم والتاريخ متشابهة، وأحياناً كانت ترد الروايات نفسها في معظم هذه الكتب، لكنها اختلفت في مستوى العرض، فمنهم من فصل فتناول المحنة في كتاب، وبعضها تحدث عن المحنة باعتبارها جزءاً من حياته، وسأتناول بعضاً من هذه الكتب القديمة والحديثة.

أولاً: كتب التراجم

١- الطبقات الكبرى، لابن سعد (ت ٢٣٠هـ). اشار الى المحنة إشارة مقتضبة فاقتصر كلامه فيها على العبارة التالية يقول عن الإمام أحمد: «وقد كان امتحن وضرب بالسياط، أمر بضربه أبو اسحق أمير المؤمنين على أن يقول القرآن مخلوق فأبى أن يقول»[١].

٢- سيرة الإمام أحمد بن حنبل لأبي الفضل صالح بن أحمد بن حنبل (ت ٢٦٥هـ). ذكر المحنة مفصلاً أحداثها وهو من المصادر الموثقة، فأفرد المحنة بأكثر من جزء من كتابه[٢].

٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم (ت ٤٣٠هـ) وسّع في كتابه عن المحنة مستقياً رواية ابنه صالح إضافة الى روايات أخرى للمحنة[٣].

٤- مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ). تحدث عن المحنة بشكل موسع من بدايتها الى نهايتها[٤].

٥- سير أعلام النبلاء، للذهبي (ت ٧٤٨هـ) سرد المحنة ومفصلاً لها، وقد استقى معظم مادته من رواية ابنه صالح وحنبل بن اسحق[٥].

ثانياً: كتب التاريخ

١- تاريخ الطبري لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، ذكر كتب المأمون إلى اسحق بن ابراهيم لامتحان القضاة والمحدثين وغيرهم[٦].

---

(١) أنظر: ٣٥٤/٧.

(٢) أنظر: ٤٩/١-٦٥ و ٨٤-٨٦ والجزء الثاني.

(٣) ١٩٣/٩-٢٢٠.

(٤) ٢٠٨ - ٣٩٣.

(٥) ٢٣٢/١١ - ٢٩٨.

(٦) ٦٣١/٨-٦٤٦.

٢- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ). لم يتعرض للمحنة ولكنه أشار لها إشارة مقتضبة نقلاً عن ابن المديني بقوله: «أحمد بن حنبل يوم المحنة». ويقول: «قد ذكرنا مناقب أبي عبد الله أحمد بن حنبل مستقصاة في كتاب أفردناه لها، فلذلك اقتصرنا في هذا الكتاب على ما أوردناه منها». ويقصد بذلك على حد قول المحقق مناقب الإمام أحمد بن الجوزي[١].

٣- تاريخ دمشق، لابن عساكر (ت ٥٧١هـ). ذكر أحداث المحنة بشكل مختصر جداً[١].

٤- تاريخ الإسلام للذهبي (ت ٧٤٨هـ). سرد أحداث المحنة مفصلة، مستقياً مادته من ابنه صالح ومن ابن عمه حنبل بن اسحق[٢].

٥- البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، ذكر احداث المحنة، وكانت معظم رواياته عن البيهقي[٣].

ثالثاً: الكتب القديمة التي تناولت المحنة بشكل مستقل منها:

ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل لابن عمه حنبل بن اسحق، كتب عن المحنة مفصلاً أحداثها من البداية الى النهاية، مفرداً إياها بكتاب.

رابعاً: الكتب المعاصرة المؤلفة في محنة الإمام ومنها

١- الائمة الأربعة، الإمام أحمد بن حنبل/مصطفى الشكعة، توسع كثيراً في أحداث المحنة، مستقياً مادته من كتاب الطبري، فذكر كتب المأمون التي أوردها في امتحان العلماء، ثم ذكر أربع روايات للمحنة، رواية ابنه صالح، وأحمد بن الفرج، وسليمان بن عبد الله السجزي، بالإضافة الى رواية الجاحظ وهو في جانب المعتزلة، استقى معلوماته من عدة مصادر منها تاريخ الطبري، والحلية، وطبقات الحنابلة[٤].

٢- شيخ الأمة أحمد بن حنبل/عبد العزيز سيد الأهل، توسع في أحداث المحنة، واستقى مادته من كتاب الكامل لابن الأثير، والحلية، وتاريخ الطبري[٥].

---

(١) ٤/٤١٨ و٤٢٣.

(١) ٧/٢٧١-٢٧٧.

(٢) ٣٥ - ٧١.

(٣) ١٠/٣٤٥-٣٥٤.

(٤) ١٢٣ - ١٨٥.

(٥) ١٨٥ - ٢٧٣.

٣- أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، عبد الحليم الجندي تحدث عن أحداث المحنة مطولة، لكنّه لم يوثق معلوماته، ويبدو أنه أخذها من كتاب تاريخ الطبري[1].

٤- أحمد بن حنبل/للإمام محمد أبو زهرة، ذكر أحداث المحنة مفصلة مع ذكر كتب المأمون الى اسحق بن ابراهيم كما جاءت في كتاب الطبري[2].

خامساً: الكتب الحديثة التي تناولت محنة الإمام بشكل مستقل

١- محنة الدين والدنيا، عبد الجواد الدومي، تحدث عن المعتزلة، كلامهم في التوحيد، معنى خلق القران، وتحدث عن ابن أبي دؤاد والجاحظ، وأصول السنة عند الإمام، وذكر كتب المأمون مستقياً مادته من تاريخ الطبري.

الدراسة الحالية في هذا الفصل:

ركزت هذه الدراسة على الجوانب التربوية في محنة الإمام أحمد:

١- نظرة تاريخية للمحنة.

٢- ثبات الإمام أحمد في مواجهة الانحراف العقائدي ودعوته للعودة للأصول الصحيحة دون تحريف أو تبديل والأثر التربوي لذلك.

٣. أهم الآثار التربوية للمحنة.

مفهوم المحنة:

قبل الحديث عن الإطار العام للمحنة لا بد من الوقوف على معنى المحنة.

المحنة في اللغة: مأخوذة من الفعل مَحِنَ، وامتحن القول: نظر فيه وتدبره، روى عن مجاهد: «**أولئك الذين امتحن الله قلوبهم**»[3]. قال: «خلص الله قلوبهم». ومحنته وامتحنته: بمنزلة خبرته واختبرته وبلوته وابتليته. وأصل المحن، الضرب بالسوط، والمحنة واحدة المحن التي يمتحن بها الانسان من بليه. وفي حديث الشعبي ، المحنة بدعة، هي أن يأخذ السلطان الرجل فيمتحنه ويقول له: فعلت كذا وفعلت كذا[4].

وفي الاصطلاح: ما يمتحن الله به الانسان في معتقداته. يقوم أولياء الشيطان بتهديدهم ليتراجعوا عن مواقفهم ويثنونهم عن عقائدهم بالضرب والقتل.

(١) ٣٣١ - ٤١١.

(٢) ٤٦ - ٧٢.

(٣) سورة الحجرات آية ٣.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، ٤٠١/١٣.

الإطار العام للمحنة:

بدأت محنة خلق القرآن عام ثمان عشرة ومائتين زمن الخليفة العباسي المأمون بن الرشيد، واستمرت الى خلافة المتوكل عام اثنين وثلاثين ومائتين. وقد أعلنها المأمون عندما بعث كتاباً الى اسحق بن ابراهيم بامتحان العلماء فهدد من لم يجب منهم بالقتل والتعذيب.فأجاب بعضهم وامتنع آخرون، وممن امتنع محمد بن نوح والإمام أحمد، ولكن الأجل وافى محمد بن نوح وهو في طريقه الي المأمون، وبقي الإمام أحمد يواجه المحنة، وقد واجهها بكل حزم وعزم وقوة، وثبات وصبر، هاضماً الجراحات، ليقول كلمة في صميم عقيدتنا «القرآن كلام الله غير مخلوق».

محنة الإمام أحمد أيام المأمون:

اقنعت المعتزلة المأمون بالقول بخلق القرآن، ولم يكن في الخلفاء قبله من بني أمية وبني العباس خليفة إلا على مذهب السلف ومنهاجهم، فلما ولي هو الخلافة حمل الناس على مذهب الاعتزال والقول بخلق القرآن، وفي غزوه لبلاد الروم، كتب الى نائبه ببغداد اسحق بن إبراهيم يأمره بدعوة الناس الى القول بخلق القرآن[1]، وكان ذلك سنة ثمان عشرة ومائتين للهجرة كما أكدتها معظم كتب التراجم والتاريخ[2]، فامتحن اسحق بن ابراهيم القضاة والمحدثين والشهود بالقرآن فمن أجاب يُترك لسبيله، ومن رفض أمر المأمون بإحضارهم اليه، فسألهم فأجابوا جميعاً أن القرآن مخلوق. فأعادهم الى بغداد[3] وعندما رأى المأمون نتيجة هذا الكتاب كتب مرة أخرى لامتحان من هم أكثر علماً فجاء الكتاب الثاني الى اسحق بن ابراهيم، لامتحانهم، فامتحنهم، فمن امتنع عن الإجابة بعث به الى الحبس فأجابوا جميعاً ما عدا أربعة محمد بن نوح والإمام أحمد وعبد الله القواريري، والحسن بن حمّاد سجادة.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣٤٦/١٠.

(٢) الذهبي: سير الأعلام، ٢٣٩/١١ وأنظر ابن كثير: البداية والنهاية ٢٨٤/١٠، وابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢٢٢/٥.

(٣) حنبل بن اسحق: ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل/٣٤، وابن الأثير: الكامل، ٢٢٢/٥-٢٢٥، وأنظر ابن السعدي: الجوهر المحصل/٥٣-٥٤

فأجاب القواريري وسجادة وبقي الإمام أحمد ومحمد بن نوح في الحبس[1]، فناظر اسحق بن ابراهيم الإمام أحمد وقال له: «ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله، قال: أمخلوقٌ هو؟ قال: كلام الله ما أزيد عليها»[2]، بعدها حمل الإمام ومحمد بن نوح وهما مقيدان الى الرحبة، وبعدها غادارها الى أذنه وعند وصولهما جاء رجل مبشراً بموت المأمون[3]، فردُ الإمام ومحمد بن نوح الى بغداد الى حبس الرقة في سفينة وعند وصولهما عانات توفي محمد بن نوح فصلى عليه الإمام[4]، وعند وصول الإمام بغداد بقي في الحبس عند دار عمارة، بعدها نقل الى حبس العامة، فمكث هناك حتى أُفرج عنه بعد نحو من ثلاثين شهراً وكان الإمام يصلي بهم وهو مقيّد[5].

المحنة أيام المعتصم

ولي الخلافة سنة ثمان عشرة ومائتين. ودعى الى القول بخلق القرآن قال عنه الذهبي: «كان المعتصم من أعظم الخلفاء وأهيبهم، لولا ما شان سؤددة بامتحان العلماء بخلق القرآن[6]. وفي سنة تسع عشرة حول الإمام من السجن الى دار اسحق بن ابراهيم وهو مقيد، وكان يأتيه كل يوم أحمد بن رباح وأبو شعيب الحجام يناظرانه، فبقي على هذه الحال ثلاثة أيام مثقلاً بالحديد[7]، وفي الليلة الرابعة وجه المعتصم ببغا ليحمل الإمام الى اسحق، فدخل الإمام على اسحق وأراد أن يقنعه، وناظره بخلق القرآن فلم يجب الإمام[8]، وفي الليلة الثالثة من مناظرته معه وجه المعتصم للإمام، فأدخل داره وكانت مليئة بمن يحملون السيوف والسياط، فطلب المعتصم من الإمام الجلوس فجلس وأغراه بالسلطة، وبالمجيء إليه بحشمة ومواليه على أن يقول القرآن مخلوق، فأبى الإمام أحمد، فناظروه ولم يقتنع الإمام بحججهم وكان يثبت عليهم الحجة[9] فطلب

(١) الذهبي: سير الأعلام، ١١/٢٣٨ وابن كثير: البداية والنهاية، ١٠/٢٨٦.

(٢) ابن الاثير: الكامل ٥/٢٢٥.

(٣) أبو الفضل صالح: سيرة الإمام أحمد، ١/٤٩-٥٠.

(٤) أبو نعيم: الحلية /٩/١٩٦-١٩٧، وأنظر ابن الجوزي: المناقب /٣١٥ وأنظر الذهبي: تاريخ الاسلام /٣٧.

(٥) حنبل بن اسحق: ذكر محنة الإمام أحمد/٤١-٤٢، وأنظر أبا نعيم: الحلية، ٩/١٩٧، والذهبي: تاريخ الإسلام /٣٧.

(٦) السيوطي: تاريخ الخلفاء /٥٣١-٥٣٣.

(٧) أبو الفضل صالح: سيرة الإمام أحمد ١/٥٢، وانظر أبا نعيم: الحلية ٩/١٩٧ وابن الجوزي: المناقب /٣١٩.

(٨) أبو الفضل: سيرة الإمام أحمد ١/٥٣، وأنظر أبا نعيم: الحلية ٩/١٩٧.

(٩) أنظر ابن السعدي: الجوهر المحصل /٦٠-٦١.

المعصتم من الجلادين السياط والعقابين * فتخلعت يدا الإمام[1]، والجلادون يضربونه واحداً تلو الآخر والمعتصم يقول لهم: «شدوا قطع الله ايديكم» وضرب الإمام تسعة عشر سوطاً[2] ومع أن المعتصم لان لأمر الإمام عندما رأى ثباته وتصميمه، ولكنه ضربه خوف قوله من يقول بأنه ترك مذهب المأمون[3]. ووصف ابن شاباص التائب ضرب الإمام بقوله: «لقد ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطاً لو ضربته فيلاً لهدته»[4]وهناك من يشجع على ضرب الإمام بقوله: «يا أمير المؤمنين، اضرب عنقه ودمه في عنقي». رفض ابن أبي دؤاد قتله خوفاً من أن يتخذه الناس اماماً فأطلقه المعتصم بحضور الناس وابن عمه[5].

محنة الإمام أيام الواثق:

ولي الخلافة سنة سبع وعشرين ومائتين فامتحن الناس بخلق القرآن، بتحسين القول من ابن أبي دؤاد، ولكنه لم يتعرض للإمام، وكان الإمام بعد براءته من الضرب يحدث ويفتي الناس، فعرف ابن ابي دؤاد من قاضي بغداد عندها امتنع الإمام عن التحديث دون منع[6]، ولما عرف الواثق ثبات الإمام أرسل إليه: «لا تساكني بأرض» فأختفى الإمام الى أن مات الواثق[7].

محنة الإمام أيام المتوكل:

تولى المتوكل الخلافة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين فرفع المحنة لحبه للسنة والإمام في هذا العهد يحدث الناس[8].

طلب المتوكل من نائبه في بغداد أن يبعث له الإمام فخرج الإمام، ولكن سبق الى المتوكل من ادعى أن الإمام يخبىء علوياً فأمر الخليفة برجوعه فحلف

---

(1) حنبل بن اسحق: ذكر محنة الإمام أحمد /٦٢ وأنظر أبا نعيم: الحلية ٩/ ٢٠١-٢٠٢ والذهبي: تاريخ الإسلام /٤٣،
* والعقابان: خشبتان يشبح الرجل بينهما الجلد. أنظر ابن منظور: لسان العرب ١/ ٦٢١.

(2) ابن الجوزي: المناقب /٣٢٧.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام، ٤٣ وسير الأعلام: ١١/ ٢٥١.

(4) ابن الجوزي: المناقب /٣٣٣ وأنظر الذهبي / تاريخ الاسلام / ٤٨.

(5) حنبل بن اسحق: ذكر محنة الإمام أحمد / ٥٥ وابن الجوزي: المناقب /٣٤٠. وانظر الذهبي تاريخ الإسلام، ٤٨-٤٩.

(6) ابن الجوزي: المناقب /٣٤٨ وابن السعدي: الجوهر المحصل /٦٦.

(7) حنبل بن اسحق: ذكر محنة الإمام أحمد /٨٣-٨٤. وأنظر الذهبي: سير الأعلام، ١١/ ٢٦٤.

(8) ابن الجوزي: المناقب /٣٥٦ وأنظر ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/ ٣٢٤.

الإمام أنه لا يخبىء أحداً، ومع ذلك فتشوا منزله ولم يجدوا أحداً[1]، بعث المتوكل بكتاب مع قوصرة الى الإمام أحمد يثبت براءته مما نسب إليه، وبعث معه مالاً لقضاء حوائجه، وألح عليه فوصره أخذ المال فأخذه مع نيته في انفاقه، فانفقه مع حاجته له[2]، وأمر المتوكل بخروج أبي عبد الله إليه فأنزل الإمام في دار ايتاخ دون علمه، فلما عرف طلب أن يكتروا له داراً ففعلوا، والمتوكل يبعث له أصنافاً من الطعام، والإمام لا ينظر اليها[3]، واستدعى الخليفة الإمام إلى القصر، وأتوا له بثياب نفيسة، فبكى الإمام ثم نزعها وخرج، وطلب من ابنه صالح أن يبيعها ويتصدق بثمنها. وكان يقول: «والله لقد تمنيت الموت في الأمر الذي كان، وأني لأتمنى الموت في هذا وذاك، إن هذه فتنة الدنيا، وكان ذاك فتنة الدين»[4].

---

(١) أبو الفضل صالح: سيرة الإمام أحمد، ٢/٩٣-٩٥. ابن الجوزي: المناقب /٣٥٩-٣٦١. الذهبي: سير الأعلام، ٢٦٥/١١-٢٦٧.

(٢) حنبل بن اسحق: ذكر محنة الإمام أحمد /٩٩-١٠١، وانظر أبا الفضل صالح: سيرة الإمام أحمد ٢/٩٥-٩٧.

(٣) حنبل بن اسحق: ذكر محنة الإمام أحمد /١٠١-١٠٣، وابن الجوزي: المناقب /٣٦٤-٣٦٧ والذهبي: تاريخ الإسلام /٦١-٦٢.

(٤) أبو الفضل صالح: سيرة الإمام أحمد ٢/١٠٦. وانظر الذهبي: تاريخ الإسلام/٦٢. وابن السعدي: الجوهر المحصل /٧٥-٧٦. والشعراني: الطبقات الكبرى، ١/٥٥.

المبحث الثاني: ثبات الإمام في مواجهة الإنحراف العقائدي ودعوته للعودة إلى الأصول الصحيحة دون تحريف أو تبديل والدور التربوي لذلك

إن الثبات في عقيدة المؤمن ذو أهمية بالغة، لأنه منطلق للفكر والعمل، فيستمد المؤمن منه القوة والشجاعة لمواجهة العقائد الأخرى، فإذا ما كان ثابتاً في عقيدته أمام ما يبتلى به فترتفع منزلته في نظر أصحاب المبدأ وغيرهم، ويزداد قيمة، ويصبح قدوة لمن أراد اتباعه. وموقف الإمام أحمد بن حنبل يُعطى صورة عظيمة من صور الثبات على المبدأ الصحيح، فاستعد من البداية نفسياً، فكان يروى عن النبي صلى الله عليه وسلّم قوله: «لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة[1] فيقول: «فأعدوا للبلاء صبراً»[2] كما أنه كان جازماً في ثباته حتى لو أدى به الى القتل، فعندما سأله أبو بكر الأحول بقوله: «إن عرضت على السيف تجيب؟ قال الإمام: لا»[3].

فهم الإمام أحمد معنى التقية والإكراه من البداية ليستطيع مواجهة المحنة، فاتبع منهجاً تربوياً للدعاة وهو عدم استخدام الرخص، يقول لاسحق: «يا عم إذا أجاب العالم تقيه والجاهل يجهل متى يتبين الحق»[4]، وكان الإمام يذاكر في التقية، فيقول لهم الإمام: كيف تصنعون بحديث خباب: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه[5] فيأسنا منه»[6]، والتقيه تجوز للمستضعفين الذين يخشون عدم الثبات على الحق، وليسوا موضع قدوة. أما الأئمة يأخذون بالعزيمة محتملين الأذى ثابتين في سبيل الله، لأن الناس تتبعهم، لأنهم قدوة»[7] وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً، فالتقيه تناقض ذلك، فلا يجوز للإمام الأخذ بها مهما واجه، لأن الناس تتبعهم في مسلكهم وليس في قلوبهم، فلو أجاب الإمام

---

(١) ابن ماجة/السنن، ٢/١٣٣٩ كتاب الفتن / باب شدة الزمان، قال الألباني: (صحيح)، الألباني: صحيح سنن ابن ماجة ٢/٣٧٤.

(٢) ابن الجوزي: المناقب/٣٤٩.

(٣) أبو الفضل صالح: سيرة الإمام أحمد ١/٥٠ وأنظر ابن الجوزي: المناقب /٣١٢ والذهبي: تاريخ الإسلام/ ٣٦.

(٤) ابن السعدي: الجوهر المحصل / ٥٧.

(٥) البخاري: صحيح ٤/٢٠٠ كتاب الإكراه. باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر.

(٦) الذهبي: سير الأعلام /١١/٢٣٩، وأنظر ابن السعدي: الجوهر المحصل/٥٧.

(٧) الذهبي: سير الأعلام، ١١/٢٥٢ الحاشية.

تقية تضل أكثر الناس بعده[1]، لذا فهو يقول: «أضل هؤلاء كلّهم؟ اقتل نفسي ولا أضل هؤلاء كلهم»[2] فأسلوبه واضح رفض تام للإجابة تقية، لأن العالم والإمام قدوة، فإذا ما أجاب يطمس الحق، ويطغى الباطل عليه، ويبقى الجاهل على جهله، وينتشر الفساد. شعر الإمام بمسؤوليته لأنه إمام، فأخلص النية أمام الله والناس، فقوى الدافع الايماني لديه، وهو مبدأ من مبادىء التربية الإسلامية، فصدع بالحق دون خوف أو وجل من السلطان، محتسباً ذلك عند الله تعالى، وميز بين التقية والإكراه، وأعذر غيره لأنهم أكرهوا. فعندما أجاب سجادة والقواريري في المحنة، أعذرهما بقوله: «أليس قد حبسا وقيدا» قال الله تعالى: «**إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**»[3]. ثم قال أبو عبد الله: «القيد كره والحبس كره، والضرب كره، فأما إذا لم ينل بمكروه فلا عذر له»[4] تعرض الإمام أحمد لمكروه الضرب وهي محنة في جسده، فضرب بسياط المعتصم، فيأتيه بالجلادين ليضربوه ويشدوا في ضربه مع الإهانات من الجلادين[5] ولكن الإمام يزداد ثباتاً وخاصة في وقت توجهه بالدعاء عند ضربه.

فالدعاء عبادة، فهو ملجأ المؤمن، وتربية يشعر بها الإنسان أن الله هو القادر على المنح والمنع، مما يجعل نفسه مطمئنة وقوية، ففي كل ضربة سوط دعاء الى الله فيزداد ثباتاً، فعندما ضرب السوط الأول قال: «بسم الله» فلما ضرب الثاني، قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله» فلما ضرب الثالث، قال: «القرآن كلام الله غير مخلوق» فلما ضرب الرابع، قال: «**قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا**»[6] فضرب تسعة وعشرين سوطاً[7] بالإضافة الى الاستغاثة بالله بقوله: «بك استغثت يا جبار السماء»[8] ويطلب من الله الاستمرار في الثبات بقوله: «اللّهم رضينا، اللّهم رضينا»[9] وغيرها من الأدعية[10].

---

(١) أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ٢/٢٩٩.

(٢) ابن الجوزي: المناقب / ٣٣٠.

(٣) سورة النحل، آية ١٠٦.

(٤) حنبل بن اسحق: ذكر محنة الإمام أحمد، ٣٨ وأنظر ابن السعدي: الجوهر المحصل /٥٤.

(٥) ابن الجوزي: المناقب /٣٣٧.

(٦) سورة التوبة، آية ٥١.

(٧) ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/٣٥٠، أنظر السبكي: طبقات الشافعية ٢/٥١، وابن السعدي: الجوهر المحصل /٦٣.

(٨) ابن الجوزي: المناقب /٣٣٣.

(٩) ابن الجوزي: المناقب /٣٤٩.

(١٠) ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/٣٤٣.

وقد شهد له الجلادون بثباته قال بعض الجلادين: «والله لقد ضربته ضرباً لو أبرك لي بعير فضربته ذلك الضرب لنقبت عن جوفه»[1]. إنها شهادة أعدائه له بثباته فتزداد صدقاً ويقيناً، والطبيب الذي يعالجه عندما رأى أثر الضرب في جسده وقطع لحمه بالسكين، يشهد له بشدة قلبه وثباته وعظيم صبره وأنّه صاحب نفس صادقة تتوجه الى الله بالحمد والشكر[2]، فتحمله هذا وثباته لأنه يعد نفسه بأنه أقوى من المحن والمصائب وشكره لله دليل وثوقه به، وأنه سيعطيه مزيداً من الثبات على ثباته.

والعلماء يشهدون له بثباته وتحديه، فيقول محمد بن مصعب صاحب شرطة المعتصم: «ما رأيت أحداً لم يداخل السلطان، ولا خالط الملوك كان أثبت قلباً من أحمد»[3] فالايمان يثبته، فلا يخاف ولا يهاب لا من السلطان ولا من الموت. خوفوا الإمام أحمد بالضرب والسجن، والقتل عندما قطعوا عنق رجلين أمامه[4]، ولكن الموت حقيقة واقعة فقوله الحق لن يقصر من عمره، وعدم قوله لن يطيله.

بقي عزم الإمام يزداد وإرادته تقوى يوماً بعد يوم، وهو يزداد وثوقاً وثباتاً، وهؤلاء هم أصحاب الايمان الذين لا تزعزعهم مصيبة، ولا يطأطئون رؤوسهم لها، فكلما زادت المحنة ضراوة ازداد تمسكاً وثباتاً، فهم أصحاب فكر نيّر يقاتلون به كما يقاتل أعداؤهم بالسياط. صدق بوعده وعهده فصدقه الله ونصره لصدق نيته وعمله أيضاً، وأخلص سراً وعلانية، فالصدق طريق من طرق الثبات لأنه يثق من أن انتصار الحق على الباطل حاصل لا محالة، فعندما سأله أبو زرعة: «كيف تخلصت من سيف المعتصم وسوط الواثق؟ قال: «لو وضع الصدق على جرح لبرأ»[5].

وتعرض الإمام لمحنة في نفسه فالبلاء في الجسم والنفس، قال تعالى: «**لتبلون في اموالكم وانفسكم**»[6] والعذاب النفسي لا يقل ألماً عن الجسدي بل هو أكبر

(١) ابن الجوزي: المناقب/ ٣٣٣.

(٢) أبو نعيم: الحلية ٩/٢٠٣ أنظر الذهبي: سير الأعلام ١١/٢٥٦-٢٥٧.

(٣) الذهبي: سير الأعلام ١١/٢٤٠.

(٤) ابن الجوزي: المناقب / ٣١٩-٣٢١.

(٥) ابن الجوزي: المناقب / ٣٥٠.

(٦) سورة آل عمران، آية ١٨٦.

وأعظم أثراً ووقعاً. حبس الإمام أحمد في بغداد في سجن ضيق[1]. فالسجن قمع وخنق للفكر وتضييق على النفس وألم لها، لكن الإمام أحمد بقي حُراً في معتقده على الرغم مما عاناه من الإرهاب الفكري، وثبت أمام معتقداتهم البعيدة عن روح الإسلام وتحدّاهم، ومن تحديه قيامه بالتدريس في السجن مع إصراره على اداء صلاته، قال: «وأدخلت الى بيت . . . فأردت أن أتمسح للصلاة، فمددت يدي، فإذا أنا بإناء فيه ماء وطست موضوع، فتوضأت للصلاة وصليت»[2].

وحبس الإمام بطريقة أخرى هي التزام البيت بأمر من اسحاق بقوله له: «الزم بيتك ولا تخرج إلى جماعة ولا جمعة»[3]. وتتوالي العذابات النفسية للإمام في السجن، سجن المعتصم والواثق بكل لون من ألوانها في مواقف قد تستغرب لبعضهم، وقد تكون للآخرين موطن اعجاب، وتقدير فمن هذه المواقف موقف قام به الجلادون بضرب عنق رجلين على مرأى من الإمام أحمد[4] ولكن على الرغم من ذلك لم يأبه ولم يلتفت الإمام إليهم، فعندما طرح سؤالاً لأبي عبد الرحمن الشافعي بقوله: «أي شيء تحفظ عن الشافعي في المسح؟ فقال ابن ابي دؤاد: «أنظروا رجلاً هو ذا يقدم به لضرب العنق يناظر في الفقه!؟ »[5]. وظلَّ الإمام يكابد ويعاني آلاماً نفسية على الرغم من ذلك بقي دائماً مهيئاً نفسه لها فيتشربها ويمتصها، يقول له رجلٌ حضر له موقفاً: «إنا كببناك على وجهك، وطرحناك، على ظهرك ودسناك، فقال له الإمام: فما شعرت بذلك، وأتوني بسويق، فقالوا لي: اشرب وتقيأ، فقلت: لا أفطر»[6].

لقد عذّبوا الإمام نفسياً، ظناً منهم أنه يتراجع عن موقفه، وتناسوا أنه بطل من أبطال الرسالة المحمدية في موقفها الجهادي الأكبر، فيتطلع الى السماء لا إلى الأرض، فالمائدة التي تأتيه من عند المتوكل لا يلتفت إليها[7] ورد الثلج مع أنه في

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام /٣٧.

(٢) ابن الجوزي: المناقب /٣٢٠.

(٣) الذهبي: سير الأعلام ٢٦٩/١١.

(٤) ابن الجوزي: المناقب /٣٢٠.

(٥) ابن الجوزي: المناقب /٣٢٠-٣٢١.

(٦) السبكي: طبقات الشافعية ٥٠/٢.

(٧) ابن الجوزي: المناقب /٣٦٧ وأنظر الذهبي: تاريخ الإسلام /٦٢.

حاجة الى الماء[1] فالثبات الحقيقي في الفكر والعمل، فصبر على الجوع والعطش مترفعاً بنفسه واقفاً كالطود لينصر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فتجرع الصبر وصبر امتثالاً لقوله تعالى: «**فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل**»[2] وتمسك بكتاب الله وسنة نبيه امتثالاً لما قاله صلى الله عليه وسلّم: «لقد تركت فيكم ما لم تضلوا إن اعتصمتم به؛ كتاب الله، وأنتم مسئولون عني»[3] وهما المصدران الأساسيان من مصادر التربية الإسلامية، فعندما كان المعتصم يأتي بالجلادين لضرب الإمام يقول له: «ويحك، يا أحمد، ما تقول؟ فأقول: «أعطوني شيئاً من كتاب الله عز وجل، أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم»[4] بقي متمسكاً بهما ولا يرضى بديلاً عنهما، فإذا جيء بكلام غير كلام الله وسنة رسوله يمتنع عن الإجابة ويبقى مصراً على الاحتجاج بهما. يقول ابن أبي دؤاد: «يا أحمد، يقول لك أمير المؤمنين، ما تقول؟ فأقول له: «أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أقول به»[5]. ربي الإمام أحمد على الأخلاق القويمة، التمسك بكتاب الله وسنة -رسوله صلى الله عليه وسلّم- لأنه من وجهة نظره لا يقوم الإسلام إلا بالكتاب والسنة النبوية[6] دون أدنى انحراف عن منهجهما وهذه عودة للأصول الصحيحة دون تحريف ودليل تمسكه أيضاً أنه يحاججهم بمسألة خلق القرآن من القرآن نفسه، قال تعالى: «**فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم**»[7] احتج عليهم الإمام بقوله تعالى: «**الرحمن علمّ القرآن**»[8]، ولم يقل الرحمن خلق القرآن، وقوله تعالى: «**يس، والقرآن الحكيم**»[9]، ولم يقل يس القرآن المخلوق[10].

---

(١) أبوالفضل صالح: سيرة الإمام أحمد ١/٦٤ وأنظر أبا نعيم: الحلية، ٩/٢٠٣.

(٢) سورة الأحقاف، آية ٣٥.

(٣) ابن ماجة: السنن ٢/١٠٢٥، كتاب المناسك، باب حجة رسول الله صلى الله عليه وسلّم، قال الألباني «صحيح»، الألباني: صحيح سنن ابن ماجة: ٢/١٨٩.

(٤) ابن الجوزي: المناقب /٣٢٢ وأنظر الذهبي: سير الأعلام ١١/٢٤٦-٢٤٧، والعليمي: المنهج الأحمد ١/٣٤.

(٥) أبو الفضل صالح: سيرة الإمام أحمد، ١/٥٨.

(٦) حنبل بن اسحق: ذكر محنة الإمام أحمد /٥١.

(٧) سورة آل عمران، آية ٦١.

(٨) سورة الرحمن الآيتان ١ و٢.

(٩) سورة يس: الآيتان ١ و ٢.

(١٠) العليمي: المنهج الأحمد ١/٣٢-٣٣.

إن أهل الحديث يتبعون منهج السلف من الصحابة والتابعين، فهم يتثبتون في رواية الحديث النبوي، ويقفون مع ظاهر النص، ويبتعدون عن التأويل، وفي العصر العباسي وجد منهم حفاظ للحديث، ميزوا بين صحيحه ومزيفه، ونقدوا رواة الأحاديث، من أمثال الإمام أحمد[1].

ومناظرته مع خصومه كانت طريقة لثباته لأنه يبهت الخصم والند فلا يملكون القدرة والحجة المقنعة للرد على الإمام، والمناظرة هي بمعنى الجدال والحوار، ولفظة الحوار وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: «**وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالاً واعز نفراً**»[2]، واجه الإمام المحنة بهذا الأسلوب التربوي. ووردت مناظرات الإمام مع المعتصم ومع ابن أبي دؤاد وغيرهم من المعتزلة أيضا، فمن مناظراته مع المعتصم قال الإمام: «إلى ما دعا الله ورسوله؟ قال الخليفة: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فقال الإمام: أنا أشهد أن لا إله إلا الله» ثم بين له الإمام أن وفد عبد القيس عندما جاءوا الى الرسول -صلى الله عليه وسلّم- سألهم عن الإيمان، قالوا: الله ورسوله أعلم، فأجابهم: «شهادة أن لا إله إلا الله...»[3] قال المعتصم: «لولا أني وجدتك في يد من كان قبلي، ما عرضت لك»[4] استطاع الإمام شحن ذهن المعتصم واقناعه من البداية عندما طلب منه التكلم مبيناً له هدف الدعوة وغايتها التي جاء بها محمد -صلى الله عليه وسلّم- من خلال إجابة الخليفة نفسه، وأعطاه دليلاً على الوفد الذي جاء الى الرسول صلى الله عليه وسلّم، عندها بهت ولان لأمره، وبمثل هذا الأسلوب في المواجهة أزال الغشاوة عن عيني المعتصم ليريه النور الإلهي الذي أراده الله للأمة، لأنه مقلد وتبعي ومحتفظ بوصية أخيه، ولولا ابن أبي دؤاد لأطلق سراح الإمام. وهناك كثير من المناظرات مع المعتصم ومع غيره بحضور المعتصم[5].

لم يلتفت الإمام أحمد لابن أبي دؤاد عندما يكلمه، فسأله المعتصم عن سبب امتناعه قال: «لست أعرفه من أهل العلم فأكلمه»[6] وهذا أسلوب آخر اتبعه في

(١) محمد أبو زهو: الحديث والمحدثون /٣٢٤-٣٢٥.

(٢) سورة الكهف، آية ٣٤.

(٣) البخاري: صحيح البخاري، ١/٢٠، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الآيات.

(٤) الذهبي: سير الأعلام ١١/٢٤٤-٢٤٥.

(٥) العليمي: المنهج الأحمد ١/٣٢-٣٣.

(٦) الذهبي: سير الأعلام، ١١/٢٤٧.

مناظراته تجهيل الند حتى لوعده غيره من العلماء، فعدم رده ليس عجزاً بل يقيناً منه أن ندّه ليس بعالم. وله مناظرات مع عبد الرحمن بن اسحق قال للإمام: «ما تقول في القرآن؟ قال الإمام: ما تقول في علم الله؟ فسكت عبد الرحمن»[1] وغيرها من المناظرات أيضاً[2].

بينت هذه المناظرات بطلان هذه الأفكار، والمناظرة طريق للوصول الى الحقيقة. مما يؤدي الى التمسك بالمبدأ. وفي مناظراته كان يسأل، والسؤال ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة وهو «طريقة تربوية من طرق التعلّم في الإسلام»[3] فهي طريقة لمعرفة الحقيقة، وتصل بالإنسان الى الفهم الواضح غير المزيف، وتعطي جواً مريحاً للوصول الى اليقين، مبتعداً عن التلقين.

أراد الإمام أن يحاججهم من جنس حجتهم فسألهم عن قوله تعالى: «**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين**»[4] قال أحدهم: خص الله بها المؤمنين، فقال الإمام: ما تقول إن كان قاتلاً أو عبداً أو يهودياً أو نصرانياً؟ وقف المعتزلة أمام هذا السؤال. قال الإمام: «إنما احتججت عليهم بهذا لأنهم كانوا يحتجون عليّ بظاهر القرآن»[5]. وتقبل الإمام احمد الموعظة لتثبته في محنته وقدم الموعظة أيضاً لخصمه. ليقنعهم بتفاهة أفكارهم. والموعظة أسلوب من أساليب التربية الإسلامية وهي: «النصح، والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل»[6]. وقد ورد لفظ الوعظ في القرآن الكريم بقوله تعالى: «**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**»[7] والقرآن الكريم كله موعظة[8] قال تعالى: «**يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور**»[9]. «فهي طريقة لجلب العقل والعاطفة. والموعظة المؤثرة تفتح طريقها الى النفس مباشرة عن طريق

---

(١) أبو الفضل: سيرة الإمام أحمد ١/٥٥ وأنظر أبا نعيم: الحلية ٩/١٩٨.

(٢) حنبل بن اسحق: ذكر محنة الإمام أحمد/٥٧-٦٢. وأنظر الذهبي: تاريخ الإسلام /٣٩-٤٠.

(٣) عبد الرحمن صالح وآخرون: مدخل الى التربية الإسلامية وطرق تدريسها /١٦٧-١٦٨.

(٤) سورة النساء، آية ١١.

(٥) أبو الفضل صالح: سيرة الإمام أحمد، ١/٩٥.

(٦) عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها /٢٨١.

(٧) سورة النحل، آية ١٢٥.

(٨) علي خليل أبو العينين: فلسفة التربية الإسلامية /٢٣٣.

(٩) سورة يونس، آية ٥٧.

الوجدان، وتهزه هزاً، وتثير كوامنه لحظة من الوقت»[1] وقد وردت الموعظة من بعض العلماء وغيرهم للإمام ومن الإمام أحمد للمعتصم.

ومن مواعظ العلماء للإمام موعظة محمد بن نوح يقول: «يا أبا عبد الله، الله الله، إنك لست مثلي، أنت رجل يقتدى بك، قد مد الخلق اعناقهم إليك، لما يكون منك فاتق الله، وأثبت لأمر الله»[2] فكانت لها أصداء واسعة في ذهن الإمام ونفسه أيضاً، مما جعله يتذكرها. وقد بين رجل في موعظته للإمام بأنه قدوة بقوله: «احذر يا أحمد، أن يكون قدومك مشؤوماً على المسلمين، فإن الله قد رضي بك لهم وافداً، والناس إنما ينظرون الى ما تقول فيقولون، فقال أحمد: «حسبنا الله، ونعم الوكيل»[3] فبجانب وعظه له ذكّره بأنه قدوة للناس لتكون الموعظة أثبت في قلبه من مجرد كلام عابر لا تأثير له على النفس والسلوك أيضاً. وقدّم له أبو جعفر الانصاري موعظة ذات أسلوب مقنع بقوله: «إن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت، ولا بد من الموت. فاتق الله، ولا تجبهم الى شيء، فجعل أحمد يبكي ويقول: ما شاء الله، ما شاء الله، وأعاد عليه ما قاله، والإمام يقول: ما شاء الله، ما شاء الله[4]. بين له أن الموت حقيقة حاصلة لا محالة، فكانت استجابة الإمام وهو يقول: «ما شاء الله» دليل اعجابه بهذه المواعظ التي لا ينساها، ودليل على تأثيرها في نفسيته، وقدم له أعرابي موعظة وكانت استجابة الإمام بقوله: «فقوى قلبي»[5] بين الإمام أحمد أن للموعظة أثراً كبيراً في ثباته على مبدئه، مما يشعرنا بأن الإنسان مهما قوي ايمانه فهو بحاجة لواعظ يقدم الموعظة له في وقتها المناسب. حتى يكون لها تأثير واضح للالتزام على المبدأ والسير في طريقه فكراً وعملاً.

وتبدو مكانة الموعظة وأهميتها في موقف الضرب، فالإمام أبدى تخوفاً من فتنة السياط، فقال له بعض من في الحبس: «لا عليك يا أبا عبد الله، فما هو الا سوطان، ثم لاتدري أين يقع الباقي. فكأنه سري عنه»[6] فهي سند للإمام في

(١) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية ١/١٨٧.

(٢) الذهبي: سير الأعلام ١١/٢٤٢، وأنظر السبكي: طبقات الشافعية، ٢/٤٤، وابن السعدي: الجوهر المحصل/٥٦.

(٣) أبو نعيم: الحلية، ٩/١٩٥، وأنظر الشعراني: الطبقات الكبرى ١/٥٥.

(٤) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق ٢/٤٤ وأنظر ابن الجوزي: المناقب ٣١٤، والعليمي: المنهج الأحمد ١/٣٢.

(٥) ابن الجوزي: المناقب /٣١٣ وأنظر الذهبي: سير الأعلام ١١/٢٤١، وابن السعدي: الجوهر المحصل/٥٥.

(٦) ابن الجوزي: المناقب، ٣١٦-٣١٧. وأنظر ابن السعدي: الجوهر المحصل/٥٧.

المواجهة وتثبيت له على منهجه فيتقبل العذاب الجسدي والنفسي معاً. وغيرها من المواعظ[1]. أما موعظة الإمام للمعتصم في المحنة بقوله: «يا أمير المؤمنين، الله الله، إن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، قال: «لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله...»[2] لا يكفى الله وبيني وبينك مطالبه، يا أمير المؤمنين اذكر وقوفك بين يدي الله كوقوفي بين يديك يا أمير المؤمنين: راقب الله، فكأنه أمسك»[3].

وضع الإمام أحمد ثلاثة أمور في هذه النصيحة. أولاً: سؤال بما تستحل دمي يا أمير المؤمنين مع انني أشهد أن لا إله إلا الله، والثاني: تذكيره باليوم الآخر، وأنه سيطالبه بدمه، والثالث: عليك مراقبة الله، والمراقبة شعورٌ دائم يلازم الإنسان المؤمن بأن الله معه، لقد أتى له من أقرب باب وهو باب العاطفة الجارفة، والاقناع العقلي باستخدامه أسلوب التشبيه. ثم قدّم اسلوب العقل لا يحل دم المسلم ما دام يشهد أن لا إله إلا الله، وهذا أسلوب وجد وقعاً في نفس المعتصم، وأنجلى ما قد ران على قلبه من صدأ نسيان اليوم الآخر، لأن الإمام أعطاه التصور الصحيح للحياة، وبين له الحق من الباطل، والنور من الضلال. امتثالاً لقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أو شك أن يعمهم الله بعقاب منه»[4].

واجه الإمام أحمد المحنة بنفسيته العظيمة وأخلاقه الكريمة من النقاء والطهر، وهذه طريقة من طرق ثبات الإمام أحمد في المواجهة، ومن هذه الأخلاق **العفو** وهو من الأخلاق الكريمة التي تعني بها التربية الإسلامية، وحث القرآن الكريم على العفو بقوله تعالى: **«وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفورٌ رحيم»**[5]، وحث الرسول -صلى الله عليه وسلّم- على العفو: «ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً»[6]. بذل الإمام من هذا الخلق، إذا نظر في قوله تعالى: **«فمن عفا، واصلح فاجره على الله»**[7]

---

(١) ابن الجوزي: المناقب /٣٢٥.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، ١٨٨/٤، كتاب الدّيات، باب قول الله تعالى أن النفس بالنفس والعين بالعين.

(٣) حنبل بن اسحق: ذكر محنة الإمام أحمد /٦١-٦٢.

(٤) الترمذي: سنن الترمذي، ٢١٦/٣، أبواب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يُغير المنكر. قال الألباني (صحيح) الألباني. صحيح سنن الترمذي، ٢٣٢/٢.

(٥) سورة التغابن، آية ١٤.

(٦) مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٤١/١٦ كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع.

(٧) سورة الشورى، آية ٤٠.

فإذا هو ما روي عن الحسن في تفسير قوله تعالى: «إذا جثت الأمم بين يدي الله تبارك وتعالى يوم القيامة نودوا: ليقم من أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا»، قال الإمام: «فجعلت الميت في حل من ضربة إياي، وما على رجل ألا يعذب الله بسببه أحدا»[1]. لم يتردد الإمام أحمد في العفو عن المعتصم على الرغم من أنه أدمى جسده جراحات لم تلتئم، فامتثل ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم في العفو، خائفاً يوماً لا ينفع فيه مال ولا بنون فعفا عنه بقوله: «هو في حل من ضربي»[2] تلبية فورية وانصياع تام لأوامر الله عز وجل حتى في الوقت الذي عذب به، فيقول عن المعتصم: «ما خرجت من دارة حتى جعلته في حل»[3]. والإمام يعتبر أن العفو لا ينقص منه شيئاً بل يزده عزاً وثباتاً كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلّم.

اتبع الإمام منهجاً تربوياً في العفو، فاستثنى من ذلك الداعية والمبتدع، فقال: «لولا أن ابن أبي دؤاد داعية لأحللته»[4] فكل من ذكره في حل إلا المبتدع[5] فالداعية والمبتدع يدخلان في الدين ما ليس أصلا به، فالداعية يدعو لمذهبه فتتبعه جماعة فيضلوا بضلالة، فهذا شره كبير ومستطير على الأمة، والمبتدع أيضاً يضيف للدين ما ليس به من معتقداته وأفكاره.

نرى أن الإمام كان محقاً في هذا المنهج التربوي وهو أولاً العفو، ثانياً لا عفو عن الداعية والمبتدع، ومع ذلك فهذه ليست درجة دنيا، فالدرجة الدنيا هي معاقبة هؤلاء، وثمة منهج آخر للعفو، قال رجلٌ للإمام أحمد -وكان حاضراً يوم ضُرب ولم يتكلم-: «يا أبا عبد الله، اجعلني في حل، قال الإمام: أحدث لله عز وجل توبة، ولا تعد إلى مثل ذلك الموقف»[6].

ومن عفوه ايضاً أنه لا يدعو على ظالم لأن ذلك مناف للصبر فيقول: «ليس بصابر من دعا على ظالم»[7] فطبق الإمام أحمد مبدءاً من مبادىء التربية

---

(١) أبو الفضل صالح: سيرة الإمام أحمد ٦٥/١ حنبل بن إسحق: ذكر محنة الإمام أحمد /٧٤، والمزي: تهذيب الكمال ٢٦٤/١.

(٢) ابن الجوزي: المناقب /٣٤٤، وأنظر الذهبي: سير الأعلام ٢٥٨/١١.

(٣) العليمي: المنهج الأحمد / ٣٨/١.

(٤) ابن الجوزي: صفة الصفوة ٣٥٢/٢.

(٥) حنبل بن اسحق: ذكر محنة الإمام أحمد /٧٣ وأنظر ابن كثير: البداية والنهاية ٣٤٩/١٠.

(٦) حنبل بن اسحق: ذكر محنة الإمام أحمد /٧٣.

(٧) ابن الجوزي: المناقب /٣٣٤.

الإسلامية هو اقتضاء العلم العمل. فاتبع الرسول صلى الله عليه وسلّم وصحابته في مواجهته للمحنة فكان عليه الصلاة والسلام قدوة لهم في سلوكه، لذا فالإمام أحمد أصبح قدوة للناس، فاتبعته وأنتظرت ما يقوله الإمام. **والقدوة** من الأساليب التربوية لاتباع المنهج، فقد وردت لفظة القدوة في قوله تعالى: «**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**»[1]. فالرسول صلى الله عليه وسلّم تمثل منهج الله في فكره وسلوكه. فعندما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه قالت: «كان خلقه القرآن»[2] فيتمثله «هذه الصفات كلها، وهذه الطاقات، فيصدقونه، هذه المبادىء الحيّة يرونها رأي العين، ولا يقرأونها في كتاب، يرونها في البشر فتتحرك لها نفوسهم، وتهفو لها مشاعرهم»[3] فالرسول -صلى الله عليه وسلّم- قدوة في سيرته للإمام أحمد في سلوكه وهذه غاية المنهج الإسلامي، فاقتدى بالرسول عليه الصلاة والسلام في وقت الرّخاء والشدة، ليحيي لنا السّنة، فيروي لنا ابن هانيء أن الإمام اختفى عنده ثلاثة أيام ثم تحول قال الإمام: «اختفى رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- في الغار ثلاثة أيّام، ثم تحوّل[4] »[*] فلا اعتبار للفكر ما لم يتحول إلى حركة وواقع حيّ. واقتدى في مسألة خلق القرآن شيء لم يقله الرسول -صلى اللّه عليه وسلم- ولا صحابته فاتبع أيضاً الصحابة واقتدى بهم، وقال الإمام: «فنودي بصلاة الظهر، فصلينا الظهر، وقال ابن سماعة: صليت والدّم يسيل من ضربك، فقال: به صلى عمر، وجرحه يثغب دماً»[5]. امتثل سنة الرسول صلى اللّه عليه وسلم في نفسه وآثار التربية المحمدية في سلوكه، فأصبح قدوة للأمة. فكان القوم يحملون الأقلام والصحف منتظرين قول الإمام ليكتبوه. يقول الإمام: «أضل هؤلاء كلّهم؟ اقتل نفسي ولا أضل هؤلاء كلهّم»[6] وهو قدوة أيضاً في اختيار خلانه فاتخذ ابن أبي نوح وثبت معه على قوله في القرآن. وقدوة لولديه صالح وعبد اللّه فإنهما تمثلا السنة.

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٢١.

(٢) الحديث سبق تخريجه في الفصل الثاني من هذا البحث.

(٣) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية ١/١٨٣.

(٤) العليمي: المنهج الأحمد ١/٣٩.

(*) قال ابن عباس في قوله تعالى: «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها»، نزلت ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- مختف بمكة، الآية ١١٠ من سورة الإسراء، البخاري: صحيح البخاري، ٣/١٥٢ كتاب تفسير القرآن باب سورة بني اسرائيل

(٥) أبو الفضل صالح: سيرة الإمام أحمد ١/٦٣ وأنظر السبكي طبقات الشافعية ٢/٥٠، وانظر ابن السعدي: الجوهر المحصل/٦٢.

(٦) ابن السعدي: الجوهر المحصل/٦٢.

هذا هو الثبات الحق أمام معتزلة الدولة العباسية، فصدّهم بطرقه وأساليبه، العقيدة الصحيحة البعيدة عن انحرافات المنحرفين، فصبره نهضة للسنّة، في حين تنحى عن هذا الموقف، ولم يثبت كثير من علماء عصره من أمثال بشر الحافي، وقد اعترف بلسانه بثبات الإمام وصبره، عندما قيل له: «لو تكلمت حين ضرب أحمد قال بشر: «أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء؟ إن أحمد بن حنبل قام مقام الأنبياء»[1].

(١) ابن الجوزي: المناقب /١١٨ وأنظر الذهبي: سير الأعلام ١١/١٩٧.

المبحث الثالث: من أهم الآثار التربوية للمحنة:

لمحنة الإمام أحمد بن حنبل آثار تربوية كثيرة، وقد اقتصرنا على أهم هذه الآثار وهي:-

١- للعلماء مسؤوليات ودورٌ تربوي في مواجهة الباطل والتصدي له ولو صدر من الحكام:

إن وقوف الإمام أحمد في المحنه بينت أنّ علماء الأمة هم المسؤولون عنها، فالإمام أحمد تحمل هذه المسؤولية الملقاة على عاتقه، وشهد له علماء عصره بقيامه بهذه المسؤولية، واعتبره بعضهم المثل الذي وصفه الرسول -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الشريف بقوله: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه»[١]. فقيام الإمام بمواجهة المحنة محى عنهم مقالة إن قوماً امتحنوا ولم يخرج منهم أحد[٢] وقد أعطى المحنة كل مايملك من قوة وعانى وخرج من هذه المعاناة، قال عنه بشر بن الحارث: «أدخل أحمد بن حنبل الكير فخرج ذهبة حمراء»[٣] تطلّع الإمام إلى الآجلة لا العاجلة، لذا لابدّ أن تهون عليه نفسه في سبيل نصرة سنّة المصطفى -صلى اللّه عليه وسلم- لمعرفته ولإدراكه تبعات التنحي عن هذا الموقف. ومن تبعات التنحي عن موقفه التي توضح مسؤولية الإمام، ودوره في القيام بها. إنه إذا رجع عن مقالته ارتد الناس عن الإسلام، وحدثت أمور كثيرة في الدين ولذهب الإسلام[٤]. فهذه الأمور الإبتداع والإرتداد وذهاب أصل الإسلام توقع العلماء أن تحدث لولا وقوف الإمام أحمد وتحمله المحنة، وعدم أخذه بالتقية كما فعل علماء عصره، لتبعه الناس، وظنوا أن ما فعله هو الحق، فيضلوا دون أن يدركوا ذلك، فبين أن الإمام لا يأخذ بالرخصة فعلية بالعزيمة في موقف كهذا، فالمسؤولية الكبرى تقع على العلماء لأنهم قدوة قال تعالى: «**اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وأنتم تتلون الكتاب**»[٥] عالج الإمام هذه الأزمة الفكرية خلق القرآن

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، ٤/٢٠٠، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر.

(٢) أبو يعلى: طبقات الحنابلة ١/١٧.

(٣) أبونعيم: الحلية ٩/١٧٠ أنظر ابن السعدي: الجوهر المحصل /٢ ٥٢ والعليمي: المنهج الأحمد: ١/٣٦.

(٤) أبو يعلى: طبقات الحنابلة ١/١٧ وأنظر إبن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٧/٢٤٠. وابن الجوزي: صفة الصفوة، ٢/٣٥٢.

(٥) سورة البقرة: أية ٤٤.

بطريقته وبأسلوبه، ولم يترك مجالاً للشك في نفوس المسلمين في أهمية القول بأنّ القرآن كلام الله غير مخلوق، حتى اتجهت الناس إليه ليحارب هذه البدعة. أمر ابن ابي دؤاد بتعليم الصبيان في الكتاب مع القرآن كذا كذا» فقال الناس للإمام: «نحن لا نرضى بإمارته» فمنعهم الإمام من ذلك[1].والإمام قدوة في رفضه للمال مما جعل الناس ينظرون للعلماء لا للحكام ولا للسيادة. فالدين نقيٌ في ذاته ويجب أن يبقى في نفوس أهله كذلك، فاعتبر الجلوس مع أهل السلطة فتنة ورفض طلب المتوكل في أن يجعل المعتز في حجره[2]، فتحمل الإمام المسؤولية وأعطى جهده بقوله: «لقد أعطيت المجهود من نفسي»[3] فالمعتقدات وآراء العلماء لا تبقى كامنة في داخل النفس لا بد من أن تخرج من حجرها إلى نطاق الواقع حتى لا تضل الأمة. فكانت الناس تحمل الصحف تنتظر ما يقوله الإمام لكتابته فقال الإمام: «أضل هؤلاء كلهم؟ أقتل نفسي ولا أضل هؤلاء كلهم»[4]، فبين لنا مسؤولية قادة الفكر في إصلاح الأمة وتوضيح الطريق أمامها فهو مسؤول أمام الله، وأمام الضمير فعاد إلى طريق السلف في فهمهم للقرآن الكريم، وأثبت أن المعتقدات والآراء الفكرية لا تحارب بالنطع ولا بالسياط بل لابد من محاربتها بالفكرة حتى لا تمّحى ولا تزول. ولتحمل الإمام هذه المسؤولية قرن بأبي بكر الصديق يوم الردّه[5] وارتفع شأن الإمام لأنه حافظ على السنة من التكدير. قال أعرابي: «لقد رفع الله عزّ وجل شأن أحمد بعدما امتحن وعظم عند الناس وارتفع أمره جداً[6].

٢- الفرقان بين الحق والباطل:

أعطى الإمام أحمد بثباته صورة واضحة في مواجهة الحق للباطل، وانتصارة في النهاية بعد جهد وجهاد، وتحمل مصاعب ومشاق. فصدق في نيته لإظهار الحق، فأثبت صفات الله كما أثبتها هو لنفسه. فهو صاحب فكرة صحيحة لذا فهو لا يأبه لما يدور حوله في سبيل اثباتها والإنتصار لها والجهاد في سبيلها. يقول: «إنّ ظهور الباطل على الحق أن تنقل القلوب من الهدى إلى

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام /٥١.

(٢) ابن الجوزي: المناقب /٣٧٥.

(٣) ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/٣٥١.

(٤) ابن السعدي: الجوهر المحصل/٦٢.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام /١٣.

(٦) ابن السعدي: الجوهر المحصل/٥٥.

الضلالة وقلوبنا بعد لازمة للحق»[1] فشجاعته في الفكر أولاً، وفي الجسد ثانياً فجانب الحق يملك الإيمان وجانب الباطل يملك السلطة. فصدع بالحق متمثلاً قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه»[2]، حرصاً على بقاء الخير، فالشجاعة في الفكر قضت على حدّة السيف كما يقضي السيف على الرقاب. فانهزم الإبتداع، وعلموا أن ذلك هو الحقّ، قال تعالى: «**وليعلم الذين اوتوا العلم انّه الحقّ من ربّك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم**»[3] فربح الحقّ وخسر الباطل خسارة عظيمة فلم تقم له قائمة، فرسخ في نفوس العلماء أن الإنتصار للحق والجهاد في سبيله واجب في أعناق العلماء الذين يقتدى بهم، فجعلت من «أحمد بن نصر الخزاعي يمتنع عن القول بأن القرآن مخلوق والتضحية في سبيل ذلك.[4]

٣- ترتب على القول بخلق القرآن أمور فقهية وأخرى كان لها أثر في جرح الرواة وعدالتهم بالنسبة للإمام لأنه محدث وفقيه:

كان الإمام أحمد لا يصلي خلف من قال القرآن مخلوق، فإن صلى رجل عاد، وعندما سأله صالح بقوله: «إذا اجتمع رجلان، أحدهما قد امتحن، والآخر لم يمتحن ثم حضرت الصلاة، قال الإمام: «يتقدم الذي لم يمتحن»[5] وغيرها من الأمور الفقهية[6]. أما بالنسبة للحديث فامتنع عن نقل الرواية عمن أجاب وعدم الكتابة عنه.

فامتنع عن التحديث عن أبي كريب وأبي معمر، ولا يرى الكتابة عن أبي نصر التمار ولا يحيى بن معين، وغيرهما ممن امتحن فأجاب[7].

---

(١) ابن الجوزي: المناقب /٣١١ وأنظر الذهبي: سير الأعلام ٢٣٨/١١.

(٢) الترمذي: السنن ٣٢٧/٣ أبواب القدر، باب ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامه. وقال عنه هذا حديث حسن.

(٣) سورة الحج آية ٥٤.

(٤) السيوطي: تاريخ الخلفاء /٥٤٢-٥٤٣.

(٥) أبو الفضل: سيرة الإمام أحمد، ٦٧/١-٧٣. وأنظر الذهبي: تاريخ الإسلام /٥١.

(٦) أبو الفضل: سيرة الإمام أحمد ٦٦/١-٧٤.

(٧) الذهبي: سير الأعلام ٣٢٢/١١.

٤- إنتصار المذهب السنيّ وانهزام الإعتزال والمناداة بالعودة إلى الأصول:

بين الإمام أن لا مجال لإعمال العقل في أمور ليس للعقل فيها مجال، فيعمل العقل في مجالاته الخاصة، فالتزم النصوص في إقناعهم سواء أكان القرآن الكريم أم السّنة الشريفة، إضافة إلى ما ورد عن الصحابة، فحافظ بذلك على صفاء الكتاب والسنة، ومنهج الصحابة، وتمثل اقوالهم فكان يقول: «اللّهم سلّمْ سلّمْ»[1] والرسول -صلى اللّه عليه وسلم- كان يرددها[2] فامتثل قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «إنه من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً»[3]. وامتثل قوله صلى اللّه عليه وسلم: «إن بني اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلّهم في النار إلا ملة واحدة»[4]. فأحيا الإمام السنّة، وحافظ على مذهب السلف[*] لمواجهة مشاكل المجتمع ومن انتشار البدع فيه: فلا يجيب إلا من قرآن أو سنة أو قول صحابي فإذا لم يجد الجواب من هذه المصادر الأساسية في التربية الإسلامية لم يجبهم، لذا قوي أصحاب الحديث فيقول عنهم: «إن لم يكونوا هؤلاء الناس فلا أدري من الناس»، ويقول في محابرهم هذه سرج الإسلام، وعندما سأله أحدهم يا أبا عبدالله أين نطلب البدلاء؟ قال: إن لم يكن من أصحاب الحديث فلا أدري[5].

فثبوته ثبوت لأهل الحديث والسنة والحطّ من شأن المعتزلة، وظهر ذلك من خلال كتابه «الردّ على الجهمية». وعند مجيء المتوكل أمر المحدثين بإظهار السنة وترك الكلام مع أن قضية خلق القرآن قبله في عهد الواثق اصبحت كلام سخرية

---

(١) الذهبي: سيرالأعلام، ١١/٢٠٩.

(٢) أنظر الإمام أحمد: المسند ٢/٢٧٥.

(٣) الترمذي: السنن ٤/١٥٠-١٥١. أبواب العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، وقال عنه هذا حديث حسن.

(٤) الترمذي: سنن الترمذي، ٤/١٣٥. أبواب الإيمان، باب افتراق هذه الأمة، وقال عنه حديث حسن غريب مفسر لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. قال الألباني: (حسن)، الألباني: صحيح سنن الترمذي، ٢/٣٣٤.

(*) هناك عدة معاني لمصطلح السلفية ومن هذه المعاني السلفية المنهجية: يقصد بها « الجماعات التي سارت على طريقة أصحاب الرسول صلى اللّه عليه وسلم، فمرجعهم الكتاب والسنة، ويفهمونهما وفق قواعد أصولية بحكم معرفتهم للغة الكتاب والسنة وسلاحهم التقوى والبعد عن الفرقة والهوى، ومن ثم فهم متمسكون أصوليون منهجيون في المصادر وقواعد الفهم».
أنظر راجع الكردي: الإتجاه السلفي بين الأصالة والمعاصرة / ١٤-١٦.

(٥) إبن الجوزي: المناقب /١٨١.

واستهزاء، عندما دخل عبادة على الواثق وقال له يا أمير المؤمنين، أعظم الله أجرك في القرآن، فقال: ويلك! القرآن يموت؟ قال: يا أمير المؤمنين كل مخلوق يموت، بالله يا أمير المؤمنين، من يصلي بالناس التراويح إذا مات القرآن؟ فضحك الواثق، وقال: قاتلك الله أمسك»[1].

٥- تقوية الصلة بالله والإعتزاز به وحده

ازدادت صلة الإمام أحمد بخالقه فكان لا يغضب إلا لله، ولم تظهر عليه أمارات الغضب إلا ما يغضب الله، فعندما رأى الناس يجيبون تحمَرُّ عيناه، ويذهب لينه غضباً لله. قال أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف: «كان من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من إذا أريد على شيء من دينه، رأيت حماليق عينيه في رأسه تدور كأنه مجنون»[2][*].

فاعتبر الإمام أن ما يصيبه من ابتلاء هو شيء ضروري، ففيه تربية وتنقية وتطهر للنفوس، لتتحمل وتصبر على السراء والضراء ليزداد إيماناً ويعفو لأنّه ينتظر الأجر والثواب من الله، ففي وصيته لأولاده، اعتبر ان المحنة هي نعمة من الله واجب شكرها، ويطلب من الله العون على أداء هذا الشكر[3]، فامتثل قوله صلى الله عليه وسلم: «ما من شيء يصيب المسلم حتى الشوكة يشاكها إلا قصر من ذنوبه»[4]، عندها يتعلق بالملأ الأعلى ويماثل الأنبياء يقول صلى الله عليه وسلم عندما سئل: «أيّ الناس أشد بلاء قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»[5].

---

(١) السبكي: طبقات الشافعية ٦٠/٢.

(٢) ابن الجوزي: المناقب /٣١١، الذهبي: سير الأعلام ٢٣٨/١١.

(*) عن عمرو بن ميمون، قال ما أخطأني ابن مسعود عشية خميس إلا اتيته فيه، قال: «فما سمعته يقول بشيء قط، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلما كان ذات عشية قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم – قال: فنكس، قال فنظرت إليه فهو قائم محلله أزرار قميصه، قد اغرورقت عيناه، وانتفخت أوداجه، قال: أو دون ذلك، أو فوق ذلك، أو قريباً من ذلك أو شبيهاً بذلك.
ابن ماجه:السنن ١٠/١–١١ المقدمة باب التوقي في الحديث عن رسول الله صلى عليه وسلم: قال الألباني: «صحيح» الألباني: صحيح سنن ابن ماجه ١٠/١.

(٣) أبو الفضل صالح: سيرة الإمام أحمد ١٠٨/٢.

(٤) الإمام أحمد: المسند، ٢٦١/٦، قال المناوي: (صحيح)، المناوي: فيض القدير، ٤٨٣/٥.

(٥) الترمذي: السنن ٢٨/٤ أبواب الزهد باب في الصبر على البلاء، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح: قال الألباني: (حسن صحيح) الألباني: صحيح سنن الترمذي ٢٨٦/٢.

٦- إتقاء الشبهات:

لقد حثّ الرسول صلى الله عليه وسلم على إتقاء الشبهات بقوله: «فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه»[1] والإمام أحمد امتثل ذلك، فرفض أن يعالجه ابن ما سوية طبيب نصراني ومن طرف المتوكل اتقاءً للشبهات[2].

٧- الفتنة أشد من القتل:

قال تعالى: «**والفتنة أشد من القتل**»[3] إنّ محنة الإمام أحمد شديدة وعصبية فهي أقسى من قتله ، لذا فالإمام أحمد لم يخف من القتل ولكنه خاف من فتنة السوط، فعلى المؤمن أن يعدُّ نفسه لجميع الفتن، السجن والضرب والنفي أيضاً قال تعالى: «**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**»[4]

٨- محافظة الإمام أحمد على مبدأ أساسي من مبادئ التربية الإسلامية وهو الحرية:

صان الإمام أحمد الحرية وحماها، وهي حرية الرأي والفكر، مع أن المأمون قد خنقها للعلماء ومنحها في دولته، فالعلماء كانت حرياتهم غير محمية في ذلك العصر، لكن الإمام حارب المعتزلة ليدفع هذا الظلم عن حريات البشر التي أعطاها لهم الله، لذا لم يتوان في أعطاء شهادة حق لعلماء عصره لاحترامه لفكرهم، فيقول عن محمد بن نوح رفيقة في المحنة: «ما رأيت أحداً على حداثة سنة وقدر علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، إني لأرجو أن يكون قد ختم له بخير»[5].

٩- ازدادت حركة الحنابلة ومنزلتهم رفعة:

بعد مجيء المتوكل ورفعه للمحنة، ارتفعت منزلتهم وساندتهم الدولة حتى بعد وفاة الإمام كما يروى ابن الجوزي[6] فأيدت الدولة المحدثين وتركت المعتزلة

---

(١) مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، ١١/٢٧-٢٨ كتاب المساقاة والمزارعة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

(٢) العليمي: المنهج الأحمد ١/١٣.

(٣) سورة البقرة اية: ١٩١.

(٤) سورة الأنفال آية: ٣٠.

(٥) الذهبي: سير الأعلام، ١١/٢٤٢، وانظر ابن السعدي: الجوهر المحصل /٥٦.

(٦) ابن الجوزي: المناقب /٥٠٣.

الجدال والكلام وأمر المتوكل بإظهار السنة وذكر ابن الأثير حركات الحنابلة في القرن الرابع كيف كانوا يريقون الخمور، وكسر آلة الغناء وضرب المغنية، وإذا مشى الرجال مع النساء، سألوه عن الذي معه من هو؟ وغير ذلك[1].

١٠- الثبات والصبر على المبدأ الصحيح:

فالمؤمن الحقيقي هو الذي يكون أقوى من المصائب والمحن، فيصبر ويتجلد أمامها، فعزيمته لم تهن، ولكنّها تزداد قوة كلما تعرضت لمزيد من البلاء والخنق. فالصبر طريق للنصر القريب.

فثبت الإمام على المبدأ الصحيح وبقي متمسكاً بالكتاب والسنة فبثباته هذا أصبح قدوة للعامة والخاصة.

١١- تنقية وتطهير النفس الإنسانية:

لقد عالجت المحنة نفسية الإمام أحمد بالطرق السلمية، وذلك باتباع القرآن الكريم والسنة النبوية. فانعتقت من ربقة الضعف، وتحررت من إسار الشكوى، والشهوات، وارتفعت به ليعطي لنا نموذجاً من الصابرين على السراء والضراء، وقدوة للعامة وللخاصة من العلماء، بذلك تتجدد خلايا القلوب وتنجلي بعدما علاها الصدأ.

---

(١) إبن الأثير: الكامل في التاريخ ٦/٢٤٨.

الخاتمــــــة:

النتائج:

١- إن الإمام أحمد عاش في عصر ازدهرت فيه الحركة العلمية والثقافية، فنبغ في مجال علم الحديث والفقه، فشارك في مسيرة الحركة الفكرية التربوية الإسلامية، فهو علمٌ من أعلام الفكر التربوي الإسلامي أضافة إلى أنه محدِّث وفقيهٌ.

٢- تنوعت ثقافة الإمام أحمد مما انعكس على تصانيفه، فأعطى نتاجاً فكرياً متنوعاً معتمداً فيه على الأصول الإسلامية القرآن والسنة، مع اهتمامه بآثار الصحابة والتابعين.

٣- توصلت الباحثة إلى أن الإمام أدرك أن فكر الأمة لا ينفصل عن واقعها، وتجسد ذلك في جمعة ثروة فقهية من الحديث النبوي الشريف فقام برحلاته المتعددة حفاظاً على السنة النبوية من عبث العابثين، وتمثل أيضاً في مصنفاته التي جاءت لتواجه التيارات الفكرية المنحرفة، ومنها تيار الترف والبذخ الذي تنوع في أصناف الشراب المحرمة. فجاءت هذه المؤلفات لسّد هذا الفراغ وهذه الفجوة في المجتمع.

٤- حوى الوعاء الفكري للإمام أحمد آراءاً في مجال التربية الإسلامية، في آداب العالم والمتعلم فوضع لكلٍّ منهما آداباً. كما اشتمل على مناهج أراد الإمام أن تكون أساساً للتعليم الإسلامي مع بيان لخصائصه المميزة له.

٥- توصلت الباحثة إلى أن الإمام أحمد اهتم بالتربية السلوكية وخاصة الزهد والورع وأثرهما في التربية السلوكية وما ينتاب الإنسان من الخشية والخوف من الله وهو ثمرة الإيمان الحق، لتنمية الإرادة الخلقية، ليرتقي بالنفس الإنسانية.

٦- وتوصلت الباحثة إلى أن الإمام أحمد من علماء المسلمين الذين فهموا مسؤوليات العالم، فوقف سداً منيعاً في مواجهة الإنحراف العقائدي الذي تجاوز بالقرآن في معانيه إلى آراء دخيلة على الإسلام، فردَّ الإمام أحمد هذه

الآراء في ثباته في قضية خلق القرآن، في الوقت الذي تنحى عن هذا الموقف الكثيرون من العلماء، وبذلك امتاز على علماء عصره في هذا الموقف وخاصة في إحاطته بالسنة النبوية، فأعطى للمحنة ما لدية من طاقة فكرية وجسدية، ومنحنا صورة الثبات على المبدأ الصحيح.

٧- كشف هذا البحث النقاب عن الفكر التربوي الإسلامي في منتصف القرن الثاني إلى منتصف القرن الثالث الهجري، الذي ازدهرت الحركة العلمية فيه.

التوصيات:

١- توصي الباحثة الباحثين في مجال التربية الإسلامية التنقيب والبحث في التربية السلوكية عند الإمام أحمد وخاصة في مجال الزهد والورع لمواصلة ما قامت به الباحثة.

٢- توصي الباحثة مواصلة البحث في مجال الرد على أهل علم الكلام والزنادقة بطريقة علمية موضوعية.

٣- توصي الباحثة البحث في مقارنة الواقع الذي انتشرت فيه هذه الآراء التربوية والواقع الحالية للأمة الإسلامية.

٤- توصي الباحثة مواصلة التنقيب عن التراث التربوي الإسلامي لمواجهة مستجدات العصر، وإخراج هذا التراث إلى الواقع بدلاً من أن يكون ذكرى قد غابت معالمها في النفوس.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الآيات

الآيـــــة	الصفحة

الآيـــــــة	الصفحة
٢٧- يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة	١١٢
٢٨- وإن تعفوا وتصفحوا و تغفروا	١١٤
٢٩- فمن عفا وأصلح فأجره على الله	١١٤
٣٠- لقد كان لكم في رسول الله	١١٦
٣١- أتأمرون الناس بالبر	١١٨
٣٢- وليعلم الذين أوتوا العلم	١٢٠
٣٣- الفتنة أشد من القتل	١٢٣
٣٤- وإذ يمكر بك الذين كفروا	١٢٣

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
٢٧- زودك الله التقوى	٨١
٢٨- طلب العلم فريضة	٤٢
٢٩- العارية مؤادة	٣٦
٣٠- علموا ابناءكم السباحة والرماية	٤٠
٣١- العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل	٤٠
٣٢- فإن خلق نبي الله -صلى الله عليه وسلّم- كان القرآن	٣٨
٣٣- فردوه الى عالمه	٣٠
٣٤- فمن اتقى الشبهات	١٢٣
٣٥- لقد تركت فيكم ما لم تضلوا	١١٠
٣٦- قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل	١٠٦
٣٧- القلب مضغة إذا صلحت صلح الجسد	٨١
٣٨- لا تمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول	١٢٠
٣٩- لا يحل دم امرئ مسلم	١١٤
٤٠- لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة	١٠٦
٤١- ليس لابن آدم حق في سوى	٨٧
٤٢- وما تواضع أحدٌ لله الا رفعه	٧٦
٤٣- ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً	١١٤
٤٤- ما من شيء يصيب المسلم حتى الشوكة	١٢٢
٤٥- من ترك أن يلبس صالح الثياب	٨٧
٤٦- من تعلم علماً لغير الله	٩٠
٤٧- من خرج في طلب العلم	٤١
٤٨- من سلك طريقاً يطلب به علماً	٣٨
٤٩- يا صاحب السبتيتين ألقهما	١٧
٥٠- يهل أهل المدينة من ذي الحليفة	٤١

فهرس الأعلام المترجم لهم

قائمة المصادر

القرآن الكريم

ابن الاثير / علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الملقب بعز الدين (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ط٤.

الأشعري / أبو الحسن علي بن اسماعيل (ت ٣٢٤هـ)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، صححه / هلموت ريتر، (د، ن)، (د، م)، (د، ت)، ط٣.

البخاري / أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، البخاري بحاشية السندي، دار احياء الكتب العربية، (د، م)، (د، ت)، (د، ط).

الترمذي / أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، تحقيق / عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر: بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ط٢.

ابن تغرى بردي / جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامه: (د، م)، (د، ت)، (د، ط).

التهانوي/ محمد علي الفاروقي (توفي في القرن الثاني عشر الهجري) ، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق/لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب: (د،م)، ١٩٧٢، (د، ط).

ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)/الزهد والورع والعبادة، تحقيق/حمّاد سلامة و محمد عويضة، مكتبة المنار: الأردن، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ط ١.

الجاحظ/ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)، كتاب الحيوان، تحقيق/عبد السلام محمد هارون، دار الجيل: بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، (د، ط)

ـــــــــ، البيان والتبين، تحقيق/عبد السلام محمد هاورن. دار الجيل، ودار الفكر: بيروت، (د، ت)، (د، ط)

ابن الجوزي/ عبد الرحمن أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ)، صفة الصفوة، تحقيق / محمود فاخوري ومحمد رواس قلعة جي / دار المعرفة: بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ط٣.

ـــــــــ، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، دار الآفاق الجديدة: بيروت، ١٩٧٧، ط ٢.

ابن أبي حاتم/أبو محمد بن أبي حاتم محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل، دار الأمم: بيروت، ١٢٧١هـ-١٩٥٢، ط ١.

ـــــــــ، آداب الشافعي ومناقبه، تحقيق/عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية: بيروت، (د، ت)، (د، ط).

ابن أبي حاتم /محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ) كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتركين، تحقيق/محمود إبراهيم زايد، دار الوعي: حلب، ١٣٩٦هـ، ط ١.

ابن حجر/شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٥٨٢ هـ)، تهذيب التهذيب، دار الفكر: (د. م)، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ط ١.

ـــــــــ، تقريب التهذيب، دار الرشيد: سوريا، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ط ١.

ابن حنبل/أحمد بن محمد (ت ٢٤١ هـ)، الأشربة، تحقيق/صبحي جاسم، مطبعة العاني: بغداد، (د، ت)، (د، ط).

ـــــــــ، الرّد على الجهمية والرّد على الزنادقة، منشور تحت عنوان عقائد أهل السلف للأئمة، أحمد بن حنبل والبخاري، وابن قتيبة، وعثمان الدارمي، تحقيق/علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي، منشأة المعارف: الإسكندرية، ١٩٧١م، (د، ط).

ـــــــــ، الزهد، تحقيق/محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ط ١.

ـــــــــ، السُّنة، رواية عبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق/أبو هاجر محمد السّعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية: بيروت/١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ط ١.

ـــــــــ، المسند وبهامشة منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار صادر: بيروت، (د، ت)، (د، ط).

ـــــــــ، المسند، وضع فهارسه / أحمد محمد شاكر، دار المعارف: مصر، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨، (د، ط).

ـــــــــ، فضائل الصحابة، تحقيق/وصي الدين بن محمد عبّاس، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ط ١.

ـــــــــ، كتاب الورع، تحقيق/زينب ابراهيم القاروط، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ط ١.

ابن حنبل/حنبل بن اسحق (ت ٢٧٣ هـ)، ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق/محمد نغش، (د، ن)، (د، م)، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م، ط ١.

الخطيب البغدادي/زبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي: بيروت، (د، ت)، (د، ط).

ـــــــــ تقييد العلم، تحقيق/يوسف العش، دار احياء السّنة النبوية: (د، م)، ١٩٧٤م، ط ٢.

ـــــــــ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق/ محمود الطحّان، مكتبة المعارف: الرياض، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣، (د، ط).

ـــــــــ، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نورالدين عتر، (د، ن)، (د، م)، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥، ط ١.

ابن خلكان/أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ)، وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق/احسان عبّاس، دار صادر: بيروت، (د، ت)، (د، ط).

ابن خياط/أبو عمرو خليفة (ت ٢٤٠ هـ)، الطبقات تحقيق/ سهيل زكّار، مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي: دمشق، ١٩٦٦م، (د، ط).

الدارمي/عثمان بن سعيد (ت ٢٨٠ هـ)، الرّد على الجهمية، خرّج أحاديثه/بدر البدر، الدار السلفية:الكويت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ط١.

ابو داود/سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ)، سنن أبي داود، ضبط أحاديثه/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار احياء السّنة النبوية: (د، م)، (د، ت)، (د، ط).

الداوودي/شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥ هـ)، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ط ١.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)، تاريخ الإسلام، ترجمة الإمام أحمد، دار الوعي: حلب، (د، ت)، (د، ط).

ـــــــــ، سير أعلام النبلاء، تحقيق/شعيب الأرنؤوط، حقق الجزء/صالح السّر (ج١١)، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ط ٦.

ـــــــــــ، العبر في خبر من غبر، تحقيق/ أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية: بيروت: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ط١.

الزرنوجي/برهان الدين (ت ٦٢٠ هـ)، تعليم المتعلم طريق التعلم. المرشد الأمين في تربية البنات والبنين، تحقيق/مصطفى عاشور، مكتبة القرآن: القاهرة، (د، ت)، (د، ط).

السبكي/تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١ هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي: (د، م)، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م، ط ١.

ابن سحنون/محمد (ت ٢٥٦ هـ)، كتاب آداب المعلمين، تحقيق/حسن حسني عبد الوهاب، وتعليق محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية: تونس، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، (د، ط).

ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ)/الطبقات الكبرى، دار بيروت: بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، (د، ط).

ابن السعدي/محمد الحنبلي (ت ٩٠٠ هـ)، الجوهر المحصل في مناقب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق/محمد زينهم محمد عزب، مكتبة غريب: القاهرة، (د، ت) (د، ط).

السكوني/ أبو علي عمر (ت ٧١٧ هـ)، عيون المناظرات، تحقيق/ سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية: (د، م)، ١٩٧٦م، (د، ط)

السيوطي/ جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ)، تاريخ الخلفاتحقيق/محمد أبوالفضل ابراهيم، دار نهضة مصر: القاهرة، (د، ت)، (د، ط).

ــــــ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، دار احياء الكتب العربية: (د، م)، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م، ط١..

ابن الشطي/ محمد جميل بن عمر البغدادي (ت ١٢١٤ هـ)، مختصر طبقات الحنابلة، دراسة/فوّاز الزمرلي، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ط١.

الشعراني/ أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشافعي (القرن العاشر)، الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي: مصر، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م، ط١.

الشهرستاني/أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت ٥٤٨ هـ)، الملل والنحل، تحقيق/ محمد سيد كيلاني، دار المعرفة: بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، (د، ط).

الشيرازي/ أبو اسحاق (ت ١٠١٤ هـ)، طبقات الفقهاء، تحقيق/إحسان عبّاس، دارالرائد العربي: بيروت، ١٩٧٠م، (د، ط).

صالح بن أحمد بن حنبل (ت ٢٦٥ هـ)، سيرة الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق، فؤاد عبد المنعم، دار الدعوة:الإسكندرية ، (د، ت)، (د، ط).

الطبري/ أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق/ محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف: مصر، (د، ت) (د، ط).

ابن عبدالبر القرطبي/أبو عمر يوسف (ت ٤٦٣ هـ)، جامع بيان العلم وفضله، دار الفكر: بيروت، (د، ت)، (د، ط).

عبد القاهر التميمي البغدادي (ت ٤٢٩ هـ)/الفرق بين الفرق، تحقيق/محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة: بيروت، (د، ت)، (د، ط).

العجلي/أحمد بن عبدالله بن صالح أبو الحسن (ت ٢٦١ هـ)، تاريخ الثقات، خرج أحاديثه/عبد المعطى قلعجي، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م، ط١.

العراقي/ أبو الفضل زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن (ت ٨٠٦ هـ)، طرح التثريب في شرح التقريب، دار احياء التراث العربي: (د، م)، (د، ت)، (د، ط).

ابن عساكر/أبو القاسم علي بن الحسن بن هبّة اللّه الشافعي (ت ٥٧١ هـ)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلهّا من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق/عبد الغني الدقر، دار الفكر: دمشق، (د، ت)، (د، ط).

ـــــــ، تاريخ مدينة دمشق، تراجم النساء، تحقيق/ سكينة الشهابي، دار الفكر: دمشق (د، ت)، (د، ط).

ـــــــ، تهذيب تاريخ دمشق، تهذيب وترتيب/عبدالقادربدران، دار المسيرة: بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ط ٢.

العليمي/أبواليمن مجير الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٢٨ هـ)، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، تحقيق/محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني: القاهرة، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م، ط ١.

ابن العماد/أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩ هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار احياء التراث: بيروت، (د، ت)، (د، ط).

ابن قاضي شهبة/أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد (ت ٨٥١ هـ)، طبقات الشافعية، تعليق / عبد العليم خان، عالم الكتب: بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ط ١.

ابن قتيبة/أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ)، عيون الأخبار، الهيئة المصرية العامة للكتاب: (د، م)، ١٩٧٣، (د، ط).

ابن القيم/شمس الدي أبو عبد الله بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ)، اعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، تحقيق/محمد محي الدين عبد الحميد، (د، ن): (د، م)، (د، ت)، (د، ط).

ابن كثير /اسماعيل أبو الفداء (ت ٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، تحقيق /أحمد أبو ملحم وعلي نجيب عطوي وفؤاد السيد ومهدي ناصر الدين، دارالكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ط١.

______، السيرة النبوية، تحقيق /مصطفى عبد الواحد، دار الفكر: بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ط٢.

ابن ماجه/أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ)، سنن ابن ماجة، تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية: بيروت، (د، ت)، (د، ط).

الماوردي/أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٥٤٠ هـ)، أدب الدُّنيا والدين تحقيق/مصطفى السّقا، دار الفكر: (د، م)، (د، ت)، (د، ط).

ابن المبارك/عبد الله المروزي (ت ١٨١ هـ)/ كتاب الزهد والرّقائق، تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة: بيروت، (د، ت)، (د، ط).

محمد بن حبيب/ أبو جعفر (ت ٢٤٥ هـ)، المحبر، صححه/ إيليزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة: بيروت، (د، ت)، (د، ط).

المزي/جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت ٧٤٢ هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق/بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ط ٢.

المسعودي، أبوالحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ)، التنبيه والإشراف دار ومكتبة الهلال: بيروت، ١٩٨١م، (د، ط).

ـــــ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب اللبناني: بيروت/١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ط ٢.

مسلم (ت ٢٦١ هـ)/صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، مؤسسة مناهل العرفان: بيروت، (د، ت)، (د، ط).

المقريزي/تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ)، كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، دار صادر: بيروت، (د، ت)، (د، ط).

المناوي/محمد عبد الرؤف (ت ١٠٣١ هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، من أحاديث البشير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار المعرفة: بيروت، ١٣٩١هـ-١٩٧٢م، ط٢.

ابن منظور/جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ)، لسان العرب، دار صادر: بيروت، (د، ت)، (د، ط).

ابن النديم/محمد بن اسحق (ت ٢٣٨ هـ)، الفهرست، تحقيق، مصطفى الشويمي، الدار التونسية: تونس، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، (د، ط).

ابو نعيم/أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ)، حليّة الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ط ٣.

النووي/ابو زكريا محي الدين بن شرف (ت ٦٧٦ هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية: بيروت، (د، ت)، (د، ط).

ابن هشام (ت ٢١٣ هـ)/السيرة النبوية، تحقيق/مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار الخير: بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ط١.

اليعقوبي/أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢ هـ)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر-بيروت، (د، ت)، (د، ط).

ابن أبي يعلى/أبو الحسين محمد (ت ٥٢٦ هـ)، طبقات الحنابلة، دار المعرفة: بيروت، (د، ت). (د، ط).

المراجع

ابراهيم سلمان الكردي / طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة: الاسكندرية، ١٩٨٩، ط٢.

أحمد أمين/ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة، ١٩٧٤م، ط٨.

أحمد أمين/فجر الإسلام، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٩٧٩م، ط١١.

أحمد شلبي/تاريخ التربية الاسلامية، نظمها، فلسفتها، تاريخها، مكتبة النهضة المصرية: (د، م)، ١٩٨٠، ط٧.

أحمد عبد الجواد الدومي، أحمد بن حنبل بين محنة الدين والدنيا، المكتبة العصرية: بيروت، (د، ت)، (د، ط).

أحمد مختار العبادي/في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية: بيروت، ١٩٧١م، (د، ط).

التربية العربية الإسلامية، المؤسسات والممارسات/المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية: عمان، ١٩٨٩م، (د، ط).

حسن ابراهيم حسن/تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، العصر العباسي الأول، دار الأندلس: بيروت، (د، ت)، (د، ط).

حسين محمد سليمان/الدولة الإسلامية في العصر العباسي والعلاقات السياسية مع الأمويين والفاطميين، دار عالم الكتب: الرياض، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، (د، ط).

راجح عبد الحميد الكردي/الإتجاه السلفي بين الأصالة والمعاصرة، دار عمّار: الأردن، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ط١.

سعدي حسين علي جبر/فقه الإمام أبي ثور، دار الفرقان: عمار، ومؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ط١.

السيد عبد العزيز سالم/دراسات في تاريخ العرب، العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة: الإسكندرية، (د، ت)، (د، ط).

شفيق محمد زيعور/الفكر التربوي عند العلموي، دار اقرأ: بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ط١.

صالح أحمدالعلي/تطور الحركة الفكرية في صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ط١.

طه جابر العلواني/الأزمة الفكرية المعاصرة، تشخيص ومقترحات علاج، المعهد العالمي للفكر الإسلامي:الولايات المتحدة هيرندن- فيرجينيا، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ط١.

عبد الله عبد الدائم/التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين: بيروت، ١٩٨٤م، ط٥.

عبد الله بن عبد المحسن التركي/أصول مذهب الإمام أحمد، مكتبة الرياض الحديثة: الرياض، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ط٣.

عبد الأمير شمس الدين/الفكر التربوي عند الإمام الغزالي، دار اقرأ: بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ط١.

عبد البديع عبد العزيز عمر الخولي/الفكر التربوي في الأندلس، دار الفكر العربي: (د، م)، ١٩٨٥م، ط٢.

عبد الحليم الجندي/أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، دار المعارف: القاهرة: (د، ت)، (د، ط).

عبد الرحمن صالح عبد الله وناصر خوالدة ومحمد عبد الله الصمادي/مدخل الى التربية الإسلامية وطرق تدريسها، دار الفرقان: الأردن، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ط١.

عبد الرحمن صالح عبد الله/تاريخ التعليم في مكة المكرمة، دار الشروق: جدة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م، ط١.

عبد الرحمن عثمان حجازي/ المذهب التربوي عند ابن سحنون، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ط١.

عبد الرحمن النحلاوي/أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر: دمشق، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣م، ط٢.

عبد العزيز سيد الأهل/شيخ الأمة أحمد بن حنبل، دار العلم للملايين: بيروت، ١٩٧٢م، ط١.

عبد الغني الدقر/أحمد بن حنبل إمام أهل السّنة، دار القلم: بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ط١.

علي الجندي ومحمد صالح سمك ومحمد أبو الفضل إبراهيم/أطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والإسلام، مكتبة الانجلو: مصر، ١٩٦٠م، ط١.

علي الحسني الندوي أبو الحسن/رجال الفكر والدعوة في الإسلام، دار القلم:الكويت، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، ط٥.

علي خليل أبو العينين/فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، دار الفكر العربي: (د، م)، ١٩٨٠م، ط١.

عمر محمد التومي الشيباني/تطور التعليم العالي في ظل الحضارة الإسلامية، المنشأة العامة: ليبيا، ١٣٩١هـ-١٩٨٢م، ط١.

ـــــــــ/فلسفة التربية الإسلامية، الدار العربية للكتاب: (د، م)، ١٩٨٨م، (د، ط).

فاروق عمر فوزي/الفكر العربي في مجابهة الشعوبية (عصر الخلافة العربية الإسلامية)، دار الشؤون الثقافية العامة: بغداد، ١٩٨٨م، ط١.

فيليب حتى وادورد جرجي وجبرائيل جبور/تاريخ العرب، دار غندور: بيروت، ١٩٧٤م، ط ٥.

ماجد عرسان الكيلاني/تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، جمعية عمال المطابع التعاونية: عمان، ١٩٧٨م، ط١.

محمد الخضري بك/محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، المكتبة التجارية الكبرى: مصر، ١٩٧٠م، (د، ط).

محمد أبو زهرة/أحمد بن حنبل حياته وعصره-آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي: (د، م)، (د، ت)، (د، ط).

ـــــــــ/تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي: (د، م)، (د، ن)، (د، ط).

محمد أبو زهو/الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، مطبعة مصر: (د، م)، ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م، ط١.

محمد عبد الله دراز/دستور الأخلاق في القرآن الكريم، تعريب وتحقيق/عبد الصبور شاهين ومراجعة، السيد محمد بدوي، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ط٦.

محمد قطب/منهج التربية الإسلامية (في النظرية)، دار الشروق: بيروت والقاهرة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ط٤.

محمد القطري/الجامعات الإسلامية ودورها في مسيرة الفكر التربوي، دار الفكر العربي: القاهرة، (د، ت)، (د، ط).

محمد ناصر الدين الألباني/صحيح سنن ابن ماجة، مكتب التربية العربي لدول الخليج: الرياض، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ط١.

______/صحيح سنن الترمذي، مكتب التربية العربي لدول الخليج: الرياض، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ط١.

محمد يوسف غندور/الشيبانيون في العصر العباسي الأول، عالم الكتب: بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، ط١.

محمود شاكر/التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، المكتب الإسلامي: بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ط٣.

محمود عبد الرزاق سشفشق ومنير عطاالله سليمان/ تاريخ التربية: دراسة تاريخية، ثقافية، اجتماعية، دار القلم: الكويت، (د، ت)، ط ٢.

مصطفى الشكعة/الأئمة الأربعة، الإمام أحمد بن حنبل، دار الكتاب اللباني: بيروت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ط١.

مقداد يالجن/ جوانب التربية الإسلامية الأساسية، (د، ن)، (د، م)، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ط١.

ملكة أبيض/التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، دار العلم للملايين: بيروت، ١٩٨٠م، ط١.

______/تاريخ التربية وعلم النفس عند العرب، مطبعة الإنشاء: (د، م)، ١٤٠١هـ-١٤٠٢هـ ١٩٨١-١٩٨٢م، (د، ط).

منير الدين أحمد/تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الإجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، مستقاة من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ترجمة/سامي الصقار، دار المريخ:الرياض، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، (د، ط).

يوسف العش/الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءاً من فتنة عثمان، دارالفكر: دمشق، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م، ط٢.

ـــــــ/تاريخ عصر الخلافة العباسية، مراجعة/محمد أبو الفرج العش، دار الفكر: دمشق، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ط١.

Educational Thought of Al-Emam Ahmad' Bin Hanbal

By:
Khitam Mahmoud Al-Quraan

Abstract

This research in education studies tends to show Imam Ahmad Ibn Hanbal's educational thought.

The thesis consists of an in introduction, four chapters and a conclusion which includes the findings and recommendations made by the researcher.

Chapter one includes Imam Ahmad's descent, his academic biography; his political, social and cultural environment and his status as a scholar which comprises the main theme of this chapter.

Chapter two includes the development of educational thought in the age of Imam Ahmad and his contribution in the development thereof. It contains a brief idea on educational thought in the days of the prophet, the Orthodoxs Caliphs, and educational thought during the time of Imam Ahmad, his contribution therefor; its distinctive characteristics and the Imam's contribution to its development in several fields.

Chapter three included the educational views of the Imam. They include the good manners of the scholar and the learner, the concept of ascetism and piety according to Imam Ahmad and their impact on behavioral education; and aims, characteristics, curricula and methods of Islamic teaching.

The fourth and last chapter has dealt with Imam Ahmad's ordeal. It throws light on the concept of the ordeal and a brief historical outlook together with its educational effect. In addition, this chapter points out Imam Ahmad's steadfastness in facing ideological diversion, his call to returning to he true original sources without any distortion or change: and then the education at effects of the ordeal.

The study ends up with a conclusion which includes the findings and recommendations most important of which is that Imam Ahmad was an outstanding figure in Islamic educational thought, and one who made a considerable contribution to its activation and development and particularly in Imam Ahmad's confrontation with scholastic theologians and his advocation of returning to the Book (Quran) and Sunnah, the two basic sources of Islamic education.

Another important recommendation is to carry on further researches in the field of Imam Ahmad's behavioural education because of the great benefits that can be derived there from.